الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

صورة الوطن في الرواية الجزائرية
رواية وعد الياسمين أنموذجا

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب جزائري

إعداد الطالب(ة):
*- ماجدة بن عبد الرحمان

إشراف الأستاذ(ة):
معاشو بووشمة

السنة الجامعية: **2018/2017**

مـقدمـة

مقدمـــــــة

لقد ساهمت ثورات الربيع العربي أي ثورات التحرير والمطالبة بتغيير النظام في البلدان العربية في إثراء أقلام الكتّاب العرب، باعتبارها ظرفًا تاريخيًا سجّل بقوة وأتاح فرصة خوض غمار مرحلة روائية جديدة، سمحت للروائي العربي بأن يعكس هذه الفترة في قالب فنيّ متميّز، بهدف تجسيد الثقل الذي قد أرهق وعيه، وزاد من حدّة نفوره من الأوضاع السائدة في البلاد، فلجأ إلى التعبير عن قيمة الوطن وضرورة اتّحاد الشعب في مواجهة المحن والمصاعب، وتحدّي كلّ الأزمات التي تفكّك الوحدة الوطنية.

لعلَّ أبرز هذه الروايات التي اتّسمت بالغوص في أعماق الواقع الوطني والقومي والإنساني هي رواية **وعد الياسمين** لمؤلّفها رابح فيلالي، فكيف صاغ الروائي قيمة الوطن في الرواية؟ كيف استغلّها كرمز للتأثير على القارئ،وإيصال أفكاره وإيضاح قضاياه؟ وكيف عكسها إلى أبعاد مختلفة في النص؟ وهل حقّق الغايات الجمالية من خلال توظيفه للرمز؟

للإجابة على هذه الأسئلة للإجابة على هذه الإشكالية ارتأيت أن تكون الخطة المحورية لمضامين البحث موزّعة على مقدمة ،مدخل وفصلين وخاتمة وملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

المدخل اختصَّ بإنارة وافية، إذ يعدّ تمهيدًا مفسَّرا لمفهومي الوطن والرمز، وعلاقتهما بالرواية العربية عامّة والرواية الجزائرية خاصّة.

أمّا الفصل الأوَّل فقد عنونته ب"**الدلالات الرمزية للوطن**"، وقد قسَّمته إلى مبحثين:

المبحث الأول، قد وسمته ب "**الدلالات الرمزية للوطن المحسوس**"وقد تجلّت صورة الوطن في الأم والمرأة الحبيبة والحلم،كذلك تجلّت دلالاته الرمزية في الانتماء والاغتراب، وكلّها أبعاد مختلفة رمز إليها الوطن.

أمّا المبحث الثاني فقد جاء معنونًا ب"**الدلالات الرمزية للوطن المتجسّد**"، قد أوضحت فيها كيف أظهر الروائي صورًا من صور الوطن، والتي تمثّلت في عناصر هي الأرض، تونس، المدينة، لعلَّ هذه الرمزية الثلاثية هي المحور البارز في الرواية.

أمَّا الفصل الثاني فقد ارتأيت أن يكون عنوانه" **تجليات الوطن على مستوى العتبات والشخصيات**" وفيه مبحثين، المبحث الثاني فقد عنونته ب" **تمظهر الرمز على مستوى العتبات**"،قد تجلّى في العنوان ثمّ الإهداء باعتبارهما نصوصا موازيّة تحيط بالنّص الروائي، ويبرز الرمز في الواجهة الأولى وهي الغلاف الخارجي للرواية، من خلال اللون ونوع الخطّ والقصد منها في دلالات خفية إلى الوطن، كذلك تمظهر الرمز في العنوان الرئيسي والعناوين الفرعية، ثمّ درست كيف تمظهر الرمز في الإهداء وعلاقته بالنصّ الروائي.

أمّا المبحث الثاني فقد عنونته ب"**تمظهر الرمز على مستوى الشخصيات**" ،تطرّقت في هذا المبحث إلى مفهوم الشخصية، لغةً واصطلاحًا، ثم أهم وأبرز الشخصيات التي جاءت في الرواية والتي عمد إليها الكاتب لإبراز تجليّات الرمز فيها،كما أنّي درست رمزية شجرة الزيتون وزهرة الياسمين في الرواية والتي لم يذكرها الروائي عبثًا وإنَّما دلالة على الوطن تونس.

وفي الأخير تضمَّنت الخاتمة أهم ما توصلت إليه من نتائج أملتها عليَّ ثنايا هذا البحث، ثمَّ أتبعتها بملاحق فيها نبذة عن حياة الروائي وملخّص لأحداث الرواية،وقائمة المصادر والمراجع.

ويعود اختياري لموضوع "**رمزية الوطن في رواية وعد الياسمين**" لأسباب منها: هي رغبتي الملحّة في استجلاء الغموض الذي ما لبث يكتنف تيمة الوطن، وكيفية اشتغالها داخل النصوص الروائية والبحث عن أدوات وأبعاد توظيفها، أمّا عن اختياري لهذه الرواية بالذّات هي أنّها حسب نظري غير مدروسة من قبل ،كما أنَّ القضية التي تعالجها هي موضوع جديد يحتاج إلى الدراسة والبحث.

اقتضت منّي الدراسة أن أتّبع المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بالاستقراء والتحليل، ويعرض ظاهرة الرمز، ثمَّ يحلّل أبعادها من خلال رمز الوطن ويصنف دلالاتها،ويستخلص الجمالية التي يرنو إليها الكاتب.

وخلال هذه الرحلة المنهجية اعتمدت على مصدر واحد تمثّل في الرواية التي كانت محل دراستي وعلى عدة مراجع كانت لي خير معين في البحث، ومن أبرزها: نشيد الزيتون، قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية لنضال الصالح، ودلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر(دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان) لقادة عقاق، وكذلك كتاب لمحمد فتوح أحمد،الرمز والرمزية في الشعر المعاصر.

وإذا كانت سنّة الباحثين الأولين أن يذكروا المصاعب التي واجهتهم فلا بأس أن أذكر أنَّ هذا البحث سار في أرض وعرة، فلازمت كلّ خطوة عثرة، ومن أبرز الصعوبات التي واجهتها:

صعوبة الحصول على مراجع أو دراسات نقدية حول الوطن في الرواية، وكذا لم يكفني الوقت في التحليل ودراسة الموضوع على أكمل وجه.

ختامًا لا يسعني إلّا أن أتقدّم بالشكر والامتنان للأستاذ المشرف"**معاشو بووشمة** " الذي أحاط هذا البحث بالرعاية والمتابعة، ولا أنسى أن أشكر أساتذة معهد الاداب واللغات الذين قدموا لي كل انواع التشجيع والمساعدة التي طلبتها واعانوني بتوجيهاتهم ونصائحهم المفيدة والقيّمة ،كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر لجنة المناقشة التي تجشّمت عناء قراءة هذا البحث، قصد توجيهي لما فيه الصواب والسّداد.

فلكلّ هؤلاء أرفع امتناني و تقديري، واللّه وليّ التّوفيق و به نستعين.

مـدخل

أ-الوطن :

الوطن لغة :جاء في لسان العرب لابن منظور:الوطن المنزل تقيم به،وهو موطن الإنسان ومحلّه، والجمع أوطان، وأوطان الغنم والبقر مرابضها،وأماكنها التي تأوي إليها"،[1] أي بمعنى مربض الإبل والغنم،ثم صار يعني المنزل الذي يتخذه الإنسان سواء أكان مسقط رأسه أم لم يكن ،" وطن بالمكان وأوطن أي أقام،وأوطن فلان بأرض كذا وكذا,أي اتّخذها محلًّا ومسكنًا يقيم فيها،فالموطن كل مقامٍ قام به الإنسان لأمر فهو موطن"[2].وهذا التحديد اللغوي يوضّح أن الوطن مجرد مكان يجلس فيه الإنسان أو الحيوان،مكان لا يرتبط به الإنسان بأية مشاعر، فحتى الجمل يعتبران وطنا إذا جلس عليه.أمّا في المعجم الوسيط فالوطن هو" مكان إقامة الإنسان ومقرُّه،وإليه انتماؤه وُلِدَ به أو لم يولَد"[3]،وتوسَّع مفهوم الوطن فصار كل مكان ينزل فيه الإنسان ويعده مستقرا و مقامًا وطنًا.

وفي الاصطلاح الحديث:فإنَّ كلمة الوطن تعني" مساحة الأرض أو المنطقة التي يرتبط بها الشعب ارتباطا تاريخيا طويلا،فهو المنطقة التي تولدت فيها الهوية الوطنية للشعب،و ليس المنطقة الجغرافية التي ولدت فيها أمته"[4].وهو القُطر الذي ينتسب إليه الإنسان من حيث جنسيته.

وقد جاء على لسان أحمد شوقي أنَّ" الوطن موضع الميلاد،ومجمع أوتار الفؤاد، ومضجع الآباء و الأجداد، وأول هواء حرَّك المروحتين،وأول تراب مسَّ الراحتين،...نعم،هذا الوطن الذي يموت الإنسان فداءً لكرامته و عزته."[5]ومنه جاءت الوطني و الوطنية،فالوطني هو

---

[1] -ابن منظور،حمد بن مكرم بن علي أبو الفضل:لسان العرب،مادة(وطن)،دار صادر،بيروت-لبنان،ط2000،1،مج15، ص:239

[2] -المرجع نفسه،ص:239

[3] -مجمّع اللغة العربية(الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث):المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط2004،4، ص:1042

[4] -محمد العرابي:الوطن في الشعر العربي بين الماضي والحاضر، مجلة لآداب والعلوم الإنسانية، مكتبة الرشاد،سيدي بلعباس-الجزائر، ديسمبر2013، ع10، ص:254.

[5] -يوسف مارون:قاموس الحكم والأمثال والأقوال الخالدة،المؤسسة الحديثة للكتاب،طرابلس-ليبيا،ص: 415

الغيور على بلده يضحي في سبيله،و يحميه ويبذل من أجله دمه،لأنه عنده يعني العرض و الشرف و العزة."[1]

أما الوطنية فهي العاطفة التي تعبر عن ولاء الإنسان لبلده،وهي انتماء الإنسان لدولة معينة،يحمل جنسيتها،ويدين بالولاء لها،كما أنها تعبير وطني لحب الشخص لوطنه وإخلاصه له،وتعلّقه به،باعتباره مثوى آبائه و أجداده.

لقد اتخذ الإنسان العربي الكتابة وسيلة للتعبير عن مشاعره المختلفة،فقد عرف العرب في الجاهلية بحبهم للوطن وتعلّقهم بالمكان حنينهم إلى أوطانهم،وقد قال الجاحظ في كتابه"المحاسن والأضداد":"سئل أعرابي:ما الغبطة؟،فقال:الكفاية من لزوم الأوطان والجلوس إلى الإخوان،وقيل فما الذلّ؟ قال:التنقل في البلدان والتنحي عن الأوطان".[2]

و لَمَّا جاء الإسلام عزز هذا الحب و ثمَّنه،فقد كان الرسول –صلى الله عليه وسلَّم–قدوةً في حب الوطن، حيث قال في مكة:"مَا أَطيَبَكِ مِن بَلَدٍ،وما أحبَّكِ إليَّ ولولا أنَّ قَومِي أَخرَجُونِي مِنكِ مَا سَكَنتُ غيركِ"[3].وهذا يدلّ على حُبِّ الإنسان لوطنه وصدق الانتماء إليه،فقد "كان الوطن في الجاهلية الأهل و الديار ،وكل منزل ينزله و يحنُّ إليه، ولما استقرت القبائل في القرى والمدن صار مفهوم الوطن واضحا هو الأرض والبلد بحدوده وأهله ومغانيه،وصار الشعر يردِّد أسماء المدن ويتغنّى بجمالها و يحنّ إلى مراعيها، وكثر ذلك الانتساب إلى المدن والاعتزاز بها، والمدن أوطان"[4]. فبهذا نرى أنَّ العرب منذ القدم تعلَّقوا بأوطانهم ومناطق إقامتهم وقد تجلّى ذلك في أدبهم من شعر ونثر وفن.

الوطن في الأدب العربي:

يمكن العثور على ما يربط الإنسان العربي بموطنه منذ العصر الجاهلي من خلال مشاعر الشوق والحنين للديار التي قضى فيها الأدباء صباهم، ولهم فيها ذكريات،فارقوها تحت ظروف مختلفة، فحيل بينهم وبين المحبوبة مما ترك في قلوبهم لوعة، فنجد في الشعر

---

[1] –عبد المنعم الحفني:المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،ط3 ،2000 ،ص:945.

[2] –الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر:المحاسن و الأضداد،مكتبة الخانجي،القاهرة،(دت)،ص:54.

[4]–الترميذي،محمد بن عيسى أبو عيسى:الجامع الصحيح سنن الترميذي،تح:أحمد محمد شاكر وآخرون،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط2، 1978، ج5،ص: 723

[4] –يحيى وهيب الجبوري:الحنين و الغربة في الشعر العربي(الحنين إلى الأوطان)،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،ط2008،1،ص:12

ما يدلّ على ذلك كانت وراء قصائد رائعة استهلوها بالوقوف على الأطلال، وتعتبر المقدمات الطللية إحدى صور حب الوطن والتعلّق به،وخير مثال على ذلك قول امرؤ القيس:

قِفَا نَبكِ مِن ذِكرَى حَبِيبٍ و مَنزِلِ بِسِقطِ اللِّوى بَين الدَّخُولِ فَحَومَلِ[1].

الإنسان شديد الصلة بالمكان الذي ولد فيه،ونشأ من ترابه،فهو البيئة التي تؤثر في حياته وتكوينه الفكري والنفسي والجسدي، لذلك نجد الإنسان الذي نشأ في منطقة صحراوية غير الذي يقطن بالمناطق الجبلية أو السهلية.

و بعد أن تطورت الأوضاع بعد الإسلام و توسّع العمران، أصبح الوقوف على الأطلال من مكنونات النفس البشرية العربية ،فكل مكان يقيم فيه الشاعر يعتبره وطنًا.

ولعلَّ مفهوم الوطن أخذ يتشكل في الذهنية العربية مع ابن الرومي في قوله:

وطن صحبت به الشيبة و الصبا و لبست ثوب العمر و هو جديدُ.

فبهذا المعنى تحول الوطن من مكان آوٍ إلى بلد النشأة و الشباب[2]، ومن هنا يتبيّن لنا أنَّ حب الوطن قد ظلّ النبرة الطاغية العالية في الشعر العربي كقول خير الدين **الزركلي** :

لَوْ مَثَّلُوا لِي مَوْطِني وَتنَا لَهَمَمْتُ أَعْبُدُ ذَلِكَ الوَتَنَا .

إنَّه من أسمى التعابير عن حب الوطن،الذي تتشابك فيه مشاعر الهوى والحبّ،والحنين التي تنعش الإنسانية،وتفتح مجال إدراك البحث عن كيف يبني الإنسان الوطن و يحميه.[3]

أما في العصر الحديث فقد تطور مفهوم الوطن و توسعت حدوده ومعانيه،فبعدما كان الانتماء إلى القبيلة أو العشيرة،أصبح اليوم موقفا سياسيا وفلسفيا كما أصبح معنًا رمزيا، ففي الشعر اتَّخذ الشعراء الوطن فغدا رمزا للمرأة،حيث الحنان والأمان والاستقرار،وقد قال محمود درويش :"عيونك شوكة في القلب توجعني..وأعبدها و أحميها من الريح وأغمرها وراء الليل والأوجاع"،ففي ذلك ما يكشف عن تعلق الشاعر العربي اللّامحدود بوطنه وعشقه له لأنه وراثي يولد مع الفرد من خلال ارتباطه بالأسرة و المدينة و المسجد والإعلام والأتراب، كلها تشترك في تفعيل هذه الشحنة العقلية الوجدانية التي تكمن في أعماق الفرد لتظهر في مواقف كثيرة تتصل بوضعه على مستويات ومجالات مختلفة ،ترتسم في شكل سلوكات تعبر عن

---

[1]–التبريزي يحيى بن الخطيب:شرح القصائد العشر،مؤسسة المعارف،بيروت،ط1، 2002،ص:11

[2] –محمد العرابي:الوطن في الشعر العربي بين الماضي والحاضر، ص:256

[3]–المرجع نفسه،ص ن.

موقفه ورأيه تجاه ما يعرفه مجتمعه من أحداث، فالوطن عند محمود درويش"ليس صنما يُعبَد أو يُكسَر إنَّه حقل للعمل، وقابل للمساءلة المتبادلة، بمعيار كمية العمل المبذول فيه، وبمقدار ما يوفر للمواطن من كرامة و حرية[1].فصورة الوطن عند محمود درويش تتمثّل في جهد كل فرد في تلميع صورة وطنه بالعمل المبذول في سبيل حرية ومستقبل وطنه.

الوطن في الرواية:

أما في الرواية فقد تطور مفهوم الوطن عند الأدباء والروّاة،عندما توالت على الوطن العربي النكبات والنكسات، وتعقدت علاقاته الإنتاجية والاجتماعية، وتطور وعي أبنائه بفعل الممارسة والتجربة، فقد نمت لدى المبدعين تساؤلات عن الوطن بعيدا عن حدوده وجغرافيته،وأراضيه العربية المحتلة،"إذ باتت الشخوص تبحث عن أراض وأوطان إنسانية لها، خارج مفهوم الخرائط السياسية والجغرافية...، أوطان بأبعاد اجتماعية وبشروط إنسانية، أوطان لا تعبّر في مضمونها عن ولاء غير بشري... ولاءً سياسيا وقوميا وشعوبي...لقد باتت الشخوص مع أوجاعها الجديدة الواعية،ومع تطور البنية الاجتماعية وتعقدها،تبحث عن الترجمة الحقيقية للأرض الوطن الذي ينبغي أن يحتضن إنسانيتها، وفيه يكشف عبر أبطاله صورة المثقف المدمرة الذي يعيش بسبب وعيه الاغتراب عن وطنه ،والتهديد من أبناء جلدته مؤسسات،وأفرادا[2]".

فقد شغل موضوع الوطن حيزا واسعا من إبداعات الكتاب العرب الذين أثروا المكتبة العربية بقضايا حول الوطن و الثورة من أجل طرد الاستعمار،وأبرز قضية شغلت اهتمامهم هي قضية الوطن الفلسطيني الذي يمثل القضية الأولى لهم ،فهي قضية الوجدان و المصير و الهوية، والتي جعلوا منها حقا شرعيا وجب استعادته من المغتصب،فقد كانت فلسطين شمسا تدور في فلكها الكثير من الأقلام الأدبية التي سالت حنينا و شوقا إليها وأملاً في رؤيتها حرة مستقلة.

ومن أبرز الأدباء و النقاد الذين قدَّسوا الوطن في كتاباتهم بكل أدواتها الفنية غسان كنفاني وعبد الرحمان منيف، فالوطن مثلا عند غسان كنفاني هي "التاريخ و الشعب و الحق

---

[1] –محمود درويش:مقدمة مجلة الكرمل،مؤسسة الكرمل الثقافية،رام الله–فلسطين،ع58،(مجلة الآداب و العلوم الإنسانية،جامعة سيدي بلعباس)، ص:259.

[2] – سليمان الأزرعي:البحث عن وطن،دراسة في رواية ما بعد حزيران،مطبعة السفير،ط1، 2005،ص:15.

الشرعي الفلسطيني وبعبارة أخرى هي الهوية التي تمد الفدائي طاقة هائلة ليناضل من أجل استرجاعها من أيدي الصهاينة".[1] فقد كانت روايات غسان كنعاني (رجال في الشمس 1963)ورواية (عائد إلى حيفا1969) عبارة عن نقل الواقع الذي يعيشه العربي في ظل الاستعمار الغاشم وتصوير لمدى تعلق العربي بأرضه ومقاومته الاستعمار،ورفضه لكل أشكال الظلم والاستيلاب.

غسان كنفاني يعتبر من الروائيين العرب الذين استطاعوا بحكم معاناته مداخل الوطن المحتل ثم خارجه في الشتات أن يعكس صورة الوطن المحتل والأرض المغتصبة،فهو كان كثيرا ما يناضل بأدبه، ورواياته في تسلسلها ترسم القضية الفلسطينية في أطوارها،وتتابع الحالة الفلسطينية في مراحلها كلها.

موضوع هذه الرواية هو انفلات الفلسطيني من ماضيه، لهذا كان الزمن بطلاً، ممثلاً بساعة الحائط، وبساعة محمد، والماضي ممزوجاً بعقدة الذنب، ولا يمكن لفلسطيني أن يتخطى عقدة ذنبه إلا بالمرور عبر فلسطين، إن «ما تبقّى لكم» هي ا الحلم والهاجس الدائم الذي ينال من الذاكرة في عقل الفلسطيني يصنع من حياته حياة اشتباك دائم وصراع ،حاول كنفاني تحقيق الانتقال من خلاله من حالة إلى أخرى إنه الاشتباك مع الفقر،اشتباك مع الأنظمة التي تقهر الفلسطيني وتحولّه إلى مجرد رقم، اشتباك مع الذات نفسها لتتجاوز القهر والاستسلام لتظل متصلة بالماضي امتداداً للمستقبل، اشتباك مع أعداء الوطن غاصبي الأرض مضطهدي الإنسان.

" يقدم الروائي وجهًا آخر لصلة الفلسطيني بالأرض،وجهًا نقيضًا لحامد،ملوثًا بالعار والخيانة .العار الذي تحمله مريم في بطنها،والخيانة التي تتسرطن في رأس زكريا، الذي يمّثل صورة الفلسطيني الجاحد بأرضه،فهو يدل الضابط الصهيوني على الفدائي سالم، ويغتصب مريم في غياب أخيها حامد عن البيت،ولا يكتفي بعد ذلك كّله،عن الطلب إليها إسقاط الجنين .والروائي بالفعل الذي تختتم به مريم الرواية بقتل زكريا، يؤكد أنا المرأة الفلسطينية

[1] حسين قحام:صورة الأرض في الأدب القصصي العربي في الجزائر،جامعة حلب،رسالة ماجستير1987،ص: 11.

ليست صورة لفلسطين فحسب، بل هي رمز لأرضها عندما تثور على مغتصبيها:الفلسطيني الخائن والصهيوني المحموم لامتلاكها."[1]

فرواية" ما تبقَّى لكم"كانت الأمل لغسان بالعودة وباسترداد العائلة والأرض والتراث والوطن الأم الذي اغتصب منه،ليشير من خلالها إلى أن هذا ما تبقى للفلسطيني .. ذلك الذي ما زال يدفع دمه غزيرا لاسترداد أرضه وهويته الوطنية.

إن المعنى الذي سعى إليه كنفاني في رواياته هو ضرورة الحفاظ على الهوية التي لن تتجلى إلا بالانتماء والالتصاق بالأرض، ودعوته للفلسطيني بضرورة وعيه هذه الفكرة وهو فوق أرضه قريبا منها، وليس بالنزوح عنها، وفي حال عدم إدراكه ذلك فإنه سيفقد أرضه وهويته، فلا معنى لوجوده ولا امتداد له فيها.

إذا انتقلنا إلى الرواية المغاربية فإنها تأخذ منحى واحدا لأنها تتجه نحو قضية الوطن والدفاع عنها في فترة الاستعمار، ووصف علاقة الشعب بأرضه ومعاناته في الحفاظ عليها من المستعمر، وأساليبه المختلفة لسلبها منه، فالمستعمر يجد الأرض سلاحا لمحو هوية الشعب، في حين نجد الشعب المسلوبة أرضه يقاوم الاستعمار، ويحاول المحافظة على وطنه فهو يمثل ذاكرته و هويته، و تظهر"في أول رواية مغربية": بامو "لأحمد زياد 1974" التي ترصد نضال الفلاحين ضد الاستعمار الفرنسي الذي كان يلتهم أراضي أربعة أقطار عربية من الشمال الإفريقي في وقت واحد، وعبر المحكي يتداخل الواقعي فيه بالمتخيل، و"أهم ما ميز ريادتها المبكرة، توثيقه لأسماء حقيقية ولوقائع تاريخية في تاريخ النضال الوطني المغربي، ووعي مبدعها بجدل البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بعضها من بعض في أشد مراحل الكفاح المغربي إصرارا على الاستقلال"[2]،فقد جسد الروائي في روايته"بامو" الثورة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي وصمود الشعب المغربي في وجه الاستعمار مدافعا عن وطنه و أرضه وعروبته.

كما نجد رواية" الريح الشتوية "لمبارك ربيع 1979 الذي يروي قصة "حمدوني" الذي طاردته السلطات الفرنسية لإخراجه من وطنه لأنه حمل السلاح في وجهها دفاعا عن أرضه،

[1]– نضال الصالح:نشيد الزيتون، قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2004، ص:58.

[2]– المرجع نفسه،ص:35.

ويظهر في هذه الرواية تلاحم الشعب مع أرضه في أقوى مستوياتها النضالية فهذه الرواية تعتبر خير مثال عن كفاح الشعب وشجاعته في سبيل الحفاظ على أرضه. فالرواية تثمين"للمستوى الفطري لعلاقة الإنسان بأرضه، وتأكيدها على نحو غير مباشر، أن هذا المستوى أشد تأثيرًا وفعالية في معركة النضال الوطني من أي كم معرفي عن الفداء والتضحية من أجل الأرض.فالحمدوني، الفلاح البسيط،يهزّ بإصراره على التماسك بأرضه الحسّ الوطني لمحاميه،الذي كان منقطعًا عن قضية بلده المستعمر من سلطات الاحتلال نفسها،ويدفعه رفض الحمدوني للتعويض الذي حصل له عن هذه الأرض إلى التوجه نحو وطنه الجزائر للمشاركة في المعارك التي يخوضها شعبه لنيل حريته واستقلاله."[1]

فقد كانت معظم الروايات في فترة الاستعمار تدور حول قضية واحدة بارزة أو خفية، و هي الوطن لكن بأوجه مختلفة و متعددة،فقضية الوطن هي معينه الذي لا ينضب.فالروائي الهادف،كما يقول الطاهر وطار "لا يكتب روايات كثيرة مهما تعددت كتبه ومضامين إنتاجه،إنما يكتب رواية واحدة،يظل طول حياته يؤلفها إلى أن تنتهي.. إنه ينظر إلى موضوعه من مختلف الزوايا"[2].فمعظم الروايات قد تحدّثت عن الوطن وعن ثورة الشعب في سبيل تحرير هذا الوطن من أيدي المستعمرين.

أما قضية الوطن في الرواية الجزائرية فهي ليست ببعيدة عن الرواية المغربية ،لأنها شربت من نفس المنبع أثناء الاستعمار خاصة، وقد ظهرت في الساحة الأدبية الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية التي شكلت ظاهرة ثقافية ولغوية متميزة،أثارت حولها جدلا كبيرا بين النقاد و الدارسين،منهم من عدَّها رواية عربية باعتبار مضامينها الفكرية والاجتماعية،وغالبية النقاد اعتبرها رواية جزائرية مكتوبة بالفرنسية.باعتبار أنَّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي يكتسب بها الأدب هويته،ثم إنَّ الكتابة الروائية بالفرنسية قد ساهمت في نمو الأدب الفرنسي، أكثر ممَّا ساهمت في إخصاب الأدب العربي، فالاستعمار سعى لطمس الهوية الجزائرية بغرس لغته، فلم تظهر حينها إلا الأقلام التي تكتب بلغة المستعمر لنقل صورة الثورة في تلك الفترة،ولا يمكن بتر تلك التجارب الروائية قبل الاستقلال بحال من الأحوال لأنها تشكل مرحلة هامة من مراحل التاريخ الثقافي للجزائر.

---

[1] – نضال الصالح:نشيد الزيتون، قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية ،ص:36

[2] –الطاهر وطار :رمانة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981،ص: 6.

كثير هم الكتّاب الجزائريون الذين كتبوا عن الوطن باعتباره محفِّزا رئيسا في ظهور الرواية الجزائرية، فالثورة التحريرية لم تمنعهم من الكتابة عن حبهم للوطن والتفنّن في وصفه،فتحدّثوا عن الثورة و عن الشعب والسلطة، لذا جاءت رواياتهم الثورية خير دليل وشاهد على حبّهم وولعهم الكبير بوطنهم الجزائر.

لعلَّ أبرزهم الروائي الجزائري مولود فرعون في روايته "الأرض والدم "تعد الرواية الثانية له بعد روايته "ابن الفقير" ،و قد تناول فيها علاقة الجزائري بوطنه، وممَّا جاء فيها:"إنَّ أرضنا طيبة ،إنَّها تحب وتمنح في الخفاء، وتتعرَّف سريعا على أبنائها، على هؤلاء الذين خلقوا لها وخلقت لهم،من شاء أن يكشف عن جمال أرضنا فليمنحها حُبَّه".[1]

أما عند محمد ديب في ثلاثيته المسماة " الجزائر"و هي رواية(الدار الكبيرة، الحريق و النول)، وقد تشكَّلت صورة الوطن من خلال شخوصها، فقد قمعهم الاستعمار وسلبهم عزتهم، وكرامتهم، وإنسانيتهم، وأراضيهم ليصبحوا أُجراء فيها، إضافة إلى سياسة الجوع و التفقير التي مارسها الاستعمار على الشعب الجزائري، إن كل بطل من ثلاثية محمد ديب ازداد وعيا بضرورة تغيير الأوضاع المزرية و الواقع المرير جرّاء جرائم الاستعمار الفرنسي من ظلم وقهر وذلّ وأنه يجب المحافظة على الوطن.

أمَّا بعد الاستعمار خابت آمال الروائيين في الوطن وذبحت أحلامهم على عتباته في إيجاد أرض ووطن تنفتح له كل آمالهم التي لطالما طمحوا لرؤيتها بعد الاستعمار.ورسمت"صورة الوطن "بريشة واحدة ورؤية سوداوية إثر عشرية الدم التي عانت منها الجزائر، وتغيرت معه رؤيا الكاتب فلم تعد ملامحها ومعالمها واضحة. فبانغلاق الروائي على نفسه أصبحت الغربة تلفه، وفي ظلمة واقعه المرّ ظل يبحث عن أرضه ووطنه الضائع، الذي ما لبث أن سعد لاسترجاعه من يد المستعمر الفرنسي، ليضيع مرة ثانية بين أيدي أهله يمزقونه ويعبثون به إثر العشرية السوداء.

في هذا التيه الذي تخبط فيه الكثير من أدباء الجزائر بدأ البحث عن بديل للوطن، فكان التراث هو الذي يرجع للنفوس استقرارها وطمأنينتها التي افتقدتها لفترة طويلة، وتمثل ذلك في روايات الطاهر مثل رواية " الشمعة والدهاليز " 1995التي تجسد مرحلة من المراحل

[1]–مولود فرعون:الأرض و الدم،تر:عبد الرزاق عبيد،دار تلانفيت للنشر،بجاية،الجزائر،(دط)،ص:115

المأساوية التي مرَّ بها الوطن ودهليزا من دهاليز الأزمة تشعل فيها شمعة قد يبث أملا، إن كانت الظلمة تعم فإن الشمعة رمز أرض الجزائر التي تقاوم لتبقى،"فالجزائر" شمعة مضيئة وسط الدهاليز المظلمة.

الوطن موجود في داخل كل كاتب ولكن كل كاتب يصوره كما يراه ،فنذكر مثلا أحلام مستغانمي في روايتها "ذاكرة الجسد" التي ترى أن صورة الوطن تسكننا قبل أن نسكنها، فعن طريق شخصيتها الروائية التي ترسم جسر ميرابو في لوحة زيتية تجد عبرها شيئا في نفسها يوصلها إلى وطنها الجزائر و إلى مدينتها قسنطينة التي عاشت فيها"كانت عيناي تريان جسر ميرابو ونهر السين ويدي ترسم جسراً آخر ووادياً آخر لمدينة أخرى وعندما انتهيت،كنت رسمت قنطرة سيدي راشد.ووادي الرمال ..لا غير ..وأدركت أننا في النهاية لا نرسم ما نسكن ...وإنما ما يسكننا"[1].

لذا نجد فكرة الوطن الأم محفّز ودافع للكاتب في رسم أحداث رواياته،حتى تبقى رواياتهم الثورية شاهدة على حب الوطن عبر الأجيال وراسخة في أذهان كل فرد جزائري بصفة خاصة، وكل العالم بصفة عامة.

ب-<u>الرمـز</u>:

لقد تعرّض مفهوم الرّمز للكثير من الاضطرابات والتناقضات وكذا العموميات، مرّده كثرة الاتجاهات التي استهدفت تحديده ومختلف التيارات التي تصدّت لمفهومه. فقد عرف الرمز منذ آلاف السنين، وكان ظاهرة من الظواهر التعبيرية الواضحة أدبيًا وفنيًا، لها استعمالات عديدة منذ القديم، في الشعر والفنون الجميلة وكذا الشعائر الدينية، لكن العنصر المشترك في هذه الاستعمالات يكمن في أنّ الرمز ببساطة "هو شيء ما يعني شيئا آخرًا " [2].وقد جاء في لسان العرب أن: "الرمز في اللغة كلَّ ما أشرت إليه ممَّا يُبان بلفظ بأي شيء أشرتَ إليه بيد أو بعين ورَمَزَ يَرْمُزُ ويَرْمِزُ رَمْزًا ... ورَمَزَته المرأة بعينها تَرْمِزُه رمزًا أي غَمَزَته"[3]، وغير بعيد عن هذا المفهوم يراه الخليل:"تصويت خفيّ باللّسان كالهمس أو إيحاء أو إشارة بالعينين أو

---

[1]-أحلام مستغانمي:ذاكرة الجسد،دار الآداب،ط26 ،2010 ،ص:162

[2]-محمد فتوح أحمد:الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،دار المعارف،مصر،دط،1977 ،ص:34.

[3] – ابن منظور:لسان العرب,مادة (رَمَزَ),مج5،ص:222-223.

الحاجبين أو الشّفتين".[1]فالرمز بهذا المفهوم الهمس بالصوت والغمز بالحاجب، والإشارة بالشّفة، ويكون الرمز هو سبيل التعبير عن تلك الإشارات.

وفي القرآن الكريم ورد ذكر الرّمز بمعنى الإشارة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اِجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَاسَ ثَلَاثَةَ أيَامٍ إلَّا رَمْزًا ﴾"[2].

كما ورد هذا اللّفظ أيضا في الشّعر العربي القديم بالدلالة نفسها يقول الشاعر:

رَمَزت إليَّ مخافة بعلها * من غير أن تُبدي هناك كلاما**

وقد أورد السّكاكي هذا البيت ليوضّح أنَّ الرّمز هو ما يشار به إلى قريب منك على سبيل الخُفْيَة[3]. فمفاهيم الرّمز لغويًّا ترادف الإشارة و الإيحاء .

أمَّا أصل مادة الكلمة في اللّغة اليونانية (Sumbolein) والتي تعني الحَرز والتقدير، وهي مؤلفة من (sum) بمعنى (معَ) و (bolein) بمعنى (حَزَرَ)[4].

ونجد العديد من المنظرين اللسانيين أهمهم دي سوسير وكذا السيميائيين ممن عالجوا موضوع الرمز أو العلامة ،كما اصطلح المنظِّر شارل سندر بيرس والذي جعل منها ثلاثة أركان تتضمن داخلها الرمز وكذا الإيقونة والإشارة، إلى غيرها من المحاولات بداية مع أقدمهم في هذا المجال أرسطو الذي يرى "أنّ الكلمات رموز لمعاني الأشياء أي رموز لمفهوم الأشياء الحسية أوّلاً ،ثم التجريدية المتعلّقة بمرتبة أعلى من مرتبة الحسِّ " [5].ففي هذا المعنى ضيَّق أرسطو من حدود الرَّمز وقصره على الرموز اللّغوية ،فهي عنده مجرّد إشارات،فميَّز ذلك بين الرّمز من جهة والإشارة من جهة أخرى ،فالإشارة عنده أوسع مجالًا من الرّمز الذي قصره على الكلمات باعتبارها رموزا لدلالات الأشياء أو أنَّها تنوب عنها الدلالة.

---

[3]–الخليل بن أحمد الفراهيدي:المعنى،تح:عبد الحميد الهنداوي،باب:الراء،دار الكتاب العلمية،بيروت–لبنان، ج2، ط4، 2003، ص:149

[2]–سورة آل عمران،الآية: 41

[3] – ينظر:جلال الدين أبو عبد الله القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة،دار إحياء العلوم،بيروت–لبنان،ط1 ،1998،ص: 305.

[4] –محمد فتوح أحمد:الرمز والرمزية في الشعر العربي،ص:34.

[5] –المرجع نفسه،ص:36.

وكذا التفسير النفسي عند سيغموندْ فرويد الذي يلتبس الرمز فيه باللاّشعور ويرى أنه محصلة الخيال اللاشعوري، فالرّمز عند فرويد غير دقيق وما هو إلَّا "دلالة أو إشارة إلى شيء معيَّن"[1].

وعلى غرار هذا يتضِحُ أن معالجة الرمز كانت تسلك أربع مستويات، المستوى اللّغوي مع أرسطو، على اعتبار الرموز مجرّد إشارات " فالصليب مثلا رمز للمسيحية "، والمستوى النفسي الذي برع في تفسيره سيغموند فرويد، وكذَا المستوى العام والذي يعالج الرمز على أنه قيمة إشارية فقط، ولا يعني شيئا آخر وهو في هذا لا يبتعد عن التفسير اللّغوي، أمّا المستوى الرابع والأهم، هو **الرمز الفني** نجده رغم ما يحمل في طياته من قيم إشارية ينغمس في ثنايا النصوص الأدبية والسياقات الفنية، فيتلقى قيمته من داخل النص الأدبي وبإيحاءاته الخاصة.

وإذا نحن ابتعدنا عن تقسيمات الرمز اللّسانية والسيميائية، وكذا مستوياته الأربع، نجد أن هناك بعضًا من النقاد ينحون إلى تقسيم الرمز (الرمز الأدبي) إلى عام وخاص، ويختلفون في ذلك:

" فالرمز العام يتحدّد في كونه لا يبتعد عن التعبير غير المباشر بفكرة، وذلك بواسطة استعارة أو حكاية وما إلى ذلك، وعليه يصبح الرمز كشكل متداول عند مستخدميه ويصنف بذلك إلى رموز مكانية، طبيعية، دينية، تراثية... أما الرمز الخاص فهو الذي يأتي به صاحبه أصيلاً لم يسبقه إليه غيره معبّرًا من خلاله عن تجربته الخاصة أو عن شعور ما "[2].

فالرّمز إذن" لا يقتضيه شكل فنّي معين، وإنّما هو رافد من الروافد الجمالية تقتضيها لحظة التعبير ومعاناة التفكير و مخاض التصوير (...)وقد يقوم بدور أكثر ثراءً وقوة في تجسيد مقاصد الذات المعبّرة، وفي توسيع الفضاءات المعبَّر عنها"[3].فللرمز دور هام في تقوية المعنى وإضفاء لمسة من الإيحاء على النص الروائي.

الرّمز في الأدب العربي:

---

[1] –مصطفى ناصف:الصورة الأدبية،مكتبة مصر –القاهرة،1958،ص: 170

[2] –نسيمة بوصلّاح:تجلّي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر،رابطة الإبداع الثقافية الوطنية،ط1، 2003،ص: 72.

[3] – ملاح بناجي:آليات الخطاب النقدي المعاصر في مقاربة القصة الجزائرية(دراسة في قراءة القراءة)،دار الغرب للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، ط1، 2002،ص:88.

اللغة وسيلة للتواصل بين البشر و أداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم ,وهو أرقى ما وصل إليه النشاط الفكري،فقد عرَّفها ابن جني بقوله:"هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1].ومن هذا كانت اللغة رمزً للعالم الخارجي والعالم النفسي غير المحسوس، فحينما نقول "الوطنية"فإنَّ تفكيرنا يركن مباشرة إلى تلك الغيرة القومية على الوطن،وهي درع تدافع به الأمّة عن شرفها ،فاللغة فسّرت سبل التفاهم و أوجزتها في الرّمز،ولكن لابدّ من فهم الدلالات والمعاني التي ترمز إليها الكلمات، وهذا لما يحتويه الرمز"من قدرة على الغموض والإبهام، بقصد استكشاف عوالم غامضة تدل على الخفي والداخل المستتر وهي الوجهة نفسها التي قصدها أدونيس في حديثه عن "ما وراء النصّ"[2].وكأن النص هنا معطى أولي ، فهو بمثابة الواجهة التي تخفي وراءها نصوص كثيرة،ومعان متعددة.

وللرمز" عوالم مختلفة متنوعة تجعلنا نفكر بعمق ينشد الباطن ويضيف رحابة أوسع وأشمل وتتسع دلالته ومعانيه،لدرجة استيعاب المعاني المتقابلة أو المتناقضة،فيتمكن بذلك الشاعر من إيجاد أسلوبه الفريد".[3] وإذا كانت اللغة الشعرية هي لغة المجاز، فإنها أيضا لغة الرّمز، ذلك أن مساحة الرمز في الشعر واسعة آفاقه ورحبة طاقته الإيحائية.

إنَّ استخدام الرّمز ليس جديدا في الأدب العربي، بل هو قديم وموجود في شعرنا القديم، ولكن الاهتمام به تعاظم في عصرنا الحديث، وصار السمة البارزة في الأدب عامّة وفي الشعر خاصة، نظرا لغنى الحياة المعاصرة، وزخمها بالأفكار و الإنتاج وتضارب التيارات.[4]وخير مثال على ذلك شعر محمود درويش الذي يكثف من الدلالة الإيحائية للرمز في أشعاره، فنجده استعمل بعض مفردات اللغة حتى آلت إلى رموز بين يديه، مثل: الزيتون،التراب،الأرض،الليل،البحر..وغيرها فقد تكررت في نصوصه الشعرية حتى غدت أساسا لصور مهيمنة شكلت صور رمزية.

نذكر من ذلك بعض أبيات من قصيدة الأعراس:

---

[1] –ابن جنّي أبو الفتح عثمان:الخصائص،تح:محمد علي النجار،دار الهدى للطباعة والنشر،بيروت،ط2 ،مج1، 1952، ص:32.

[2] –عبد القادر فيدوح:الرؤيا والتاويل،ديوان المطبوعات الجامعية،ط1،وهران،1994،ص: 69

[3] –محمد علي الكندي:الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث(السياب،نازك،البياتي)،دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت، 2003، ص:51

[4] –صالح مفقودة:المرأة في الرواية الجزائرية،دارالشروق للطباعة والنشر والتوزيع،ط2،بسكرة–الجزائر،2009،ص: 139

وعلى سقف الزغاريد تجيئ الطائرات

طائرات

طائرات

تختطف العاشق من حضن الفراشة و مناديل الحداد[1].

ففي هذه الأبيات نجده طوَّر دلالة الفراشة في لغته لتصير رمزا للأرض.كما يستخدم رمز المرأة ليعبر عن الوطن ومن ذلك قوله:

وطني ليس حقيبة

وأنا لست مسافرا

إنني العاشق و الأرض حبيبة.[2]

وهنا يمزج الشاعر بين المرأة و الوطن ،حيث تتحول إلى ومضة حلم،يتميَّز فيه الحب بالوطنية، والمرأة تغدو رمزا للوطن.

كما لجأ أيضا كتاب القصة القصيرة إلى استخدام الرّمز،وذلك إذا اضطر الكاتب إلى التصدي لنوع من القهر ،خاصة حينما يكتب في الثالوث المحرَّم(السياسة،الدين،الجنس) وهناك كتاب كثيرون استطاعوا التعامل بذكاء مع مثل هذه المواضيع وأكبر مثال على ذلك في تاريخنا الأدبي هو كتاب"كليلة و دمنة"للحكيم بيدبا، وهو مجموعة من القصص على لسان الحيوان، لكنَّها في الأساس تقدم نقدًا لمجتمع المؤلف آنذاك.

أمَّا في العصر الحديث فنذكر المجموعة القصصية لوائل وجدي "رائحة الأيام"التي غلب عليها طابع الرمز "الفياض بالإيحاءات والإيماءات الشعورية والفكري معًا،فقد قدَّم الكاتب أشكاله الرمزية عبر لقطة سريعة مكثفة،أو مشهد مضغوط أو موقف إنساني مكثَّف"[3]،ومثل ذلك نجد الكاتب الفلسطيني "توفيق فياض" في مجموعته القصصية"الشارع الأصفر" قد استخدم الأرض المحتلة للرمز إلى فلسطين وتجلت في الأم والحبيبة والشجر والنبات وغير ذلك، وتظل فلسطين والوطن والأرض تقف وراء كل ما يكتب، ووراء رموزه كلها.

---

[1] –محمود درويش:أعراس،دار العودة،بيروت، ط1، مج14، 1994،ص: 592.

[2] –محمود درويش:الديوان،دار العودة، يروت،1993،ص: 512.

[3] –أيمن تعليب:الرمز في القصة القصيرة في مجموع "رائحة الأيام"لوائل وجدي،موقع القصة القصيرة،22أفريل2005،الساعة 02:39.

أمّا القصة في الأدب الجزائري فقد غلب عليها أسلوب التصريح و المباشرة خاصة تلك التي كتبت أثناء ثورة التحرير،فقلَّما "يجد القارئ قصصا اعتمدت على الرمز لأداء مضمونها الفكري والشعوري،ومن القصص النادرة التي وظَّفت الرمز رافدا لبنائها الفني نذكر:" القافلة لمحمد صالح رمضان،"القاتلة"لسعدي حكار،"حبة اللوز للطاهر وطّار"،"جندي الليل"،"المسافر"،"الأشعة السبعة"لعبد الحميد بن هدوقة،"معدن الكلمة "لأبي العيد دودو"[1] وممّا لاشك فيك أنَّ استعمال الكتّاب للرمز في قصصهم يضفي جمالا و إيحاءً بارزا في القصة وذلك يعتمد على كلِّ أديب في حسن توظيفه للرّمز.

الرمز في الرواية:

في الروايات العربية نجد محي الدين زنكنة يستخدم الفندق رمزً للسجن في روايته"بحثا عن مدينة أخرى"، بينما استخدم جمال الغيطاني زمن المماليك رمزا لزمن القمع الناصري، فيما يرمز مجيد طوبيا في روايته"الهؤلاء"لمصر ببلد وهمي اسمه"ايبوط"، و"قطار"صلاح حافظ يكون رمزا للثورة، ويكون "السجن "عند نبيل سلمان رمزًا للمجتمع[2].كما نجد رواية "عرس الزين "للطيب صالح استخدم الرّمز بشكل ملفت فقد أراد الكاتب الإيحاء إلى أنَّ الذَّات والوجود كلٌّ متكامل، فالزين في الرواية هو الإنسان، أمَّا "نِعمَة" فترمز إلى الطبيعة، والحنين يرمز إلى الفكر الصوفي السائد في السودان، فهذه الرواية بهذا المنظور تشير إلى اندفاع الإنسان بوساطة الطبيعة للتوحد مع القوى الكونية"[3].

لقد عرف الأدب الجزائري نثره و شعره ألوانًا من الرَّمز،حيث كان الأدباء يستخدمونها تحت إلحاح الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية، وإذا كان اللّجوء إلى الرمز من دوافعه الاضطهاد والكبت، فإنَّ الأديب الجزائري كان أشدَّ الناس حاجةً إلى اللّجوء إلى هذا الأسلوب ولاسيما في الفترة الاستعمارية.

---

[1] –ملاح بناجي:آليات الخطاب النقدي المعاصر في مقاربة القصة الجزائرية ،ص:89.

[2] –ينظر:نذير جعفر:جماليات الرواية العربية(وقائع مهرجان العجيلي الرابع للرواية العربية)،دار الينابيع،دمشق–سوريا،ط1، 2009،ص:263.

[3] –فاروق مواسي:أضواء على (عرس الزين)للطيب الصالح،موقع ديوان العرب،26فيفري2009.
WWW.DIWANALARAB.COM

وهذا ما نجده في النصوص الروائية الجزائرية منها رواية"البحث عن الوجه الآخر"لمحمد عرعار، فقد استقى مادته من علم النفس والفلسفة ممَّا جعل الأحداث في هذه الرواية يشوبها الغموض، ويكتنفها الرمز والإيحاء، ويصبو من خلال ذلك إلى تغيير وجه المجتمع وإعادة بنائه على الهيئة التي يريدها متَّخذا الرمز قالبًا فنيًّا لذلك.

كما نجد ذلك أيضا في رواية "ذاكرة الجسد"لأحلام مستغانمي التي" اتَّخذت من شخصية أحلام رمزًا لقسنطينة، ومن قسنطينة عيِّنة عن الوضع الاجتماعي والسياسي في البلاد ومُعَالجةً بذلك قضايا حساسة وخطيرة تتمثَّل في الجنس ،والدين ،السياسة"[1]، في حين يصوِّر رواية عبد الملك مرتاض في روايته"صوت الكهف" حالات القهر والاغتصاب المسلَطَّيْنِ على الريف الجزائري من قبل الاستعمار، حيث لجأ إلى تصوير ذلك بطرق وأساليب رمزية وأسطورية.

فالروائي المعاصر كثيرًا ما يلجأ إلى الرَّمز نظرًا لخشيته من الأذى، وإسداء الحقيقة في ثوب مقنعٍ، مع تقديم العبرة لمن يعتبر ،كما يستخدمها أحيانا للهروب من الواقع.

[1] –صالح مفقودة:المرأة في الرواية الجزائرية،ص:148.

الفصل الأول

المبحث الأوّل: الدلالات الرمزية للوطن المحسوس

الأم :

اتجه بعض الروائيين إلى استعمال الرمز، ولم يكن ذلك إحساسا منهم بعدم قدرة اللغة على التعبير عمَّا في نفوسهم، أو هربا من الواقع إلى عالم غيبي مليء بالأوهام والأحلام،ولكن لأنهم عالجوا موضوعات واقعية حساسة،لم يكن بإمكانهم التعبير عنها بوضوح و مباشرة ، وخير دليل على ذلك رواية وعد الياسمين لرابح فيلالي الذي عمد إلى استعمال الرمز واللجوء إليه، لأنه أقوى في" التعبير عن مكنونات النفس من آلام وأحزان مصدرها هذا الواقع و تعاسته"[1].فالوطن في روايته لم يعد له ملمح واحد، بل تعددت صوره ودلالاته ،وتنوعت رمزياته، فيجسد الوطن في صورة المرأة أو الأم التي تحنو على طفلها أو حبيبها، "**يركن الرجل إلى حضن امرأة يحبها لتعيد صياغة الكون في تفاصيله والطفل يعود إلى حضن أمٍ تدلُّه إلى أبواب الحياة** "[2]، فعندما يتعلّق الأمرُ بالوطن تأخذُ الكتابةُ شكلاً آخر ولوناً آخر، تأخذُ شكل الحب، ولون الانتماء، تأخذُ شكل العلاقة بين الأب وابنه، وقد تأخذُ أيضاً شكل العلاقة بين الأم وابنها، ففي رواية وعد الياسمين يرمز الروائي إلى الوطن بالأم بحنانها الدافق وحضنها الدافئ وحبّها الدائم لأطفالها، وأسرتها، " **ترتمي وعد في حضن أمها مستسلمة لضعفها و هي المرأة التي عركتها الحياة و هي تكافح من أجل حلمها بالوصول إلى عالم مغاير**"[3] ، فلا حضن كحضن الأم ولا مكان كالوطن.

إنَّ المزج بين المرأة و الوطن في الرواية يجعل الرواية تتميَّز بنفس عاطفي، يولِّد تلك الرؤية الحيَّة، حيث تتحوّل إلى ومضة حلم، يتميز فيه الحبّ بالوطنية، ويمتزج فيه صورة الأم بالوطن، فلا يعود باستطاعة أحد أن يفرّق بين عاطفة الحب نحو الأمّ و وبين عاطفة الحبّ نحو الأرض والوطن، "**أرجوكم احملوه برفق، فقد حملته في بطني تسعة شهور برفق الأرض و السماء، أرضعته حولين كاملين،حملته على ظهري، وسهرت على حدود غفوته انتظرت الشمس أن تشرق من عينيه، و أودعتها في إغماضها، كانت أوقات الصباح**

1– أحمد أبو مطر :الرواية في الأدب الفلسطيني،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت–لبنان،ط1، 1980،ص: 297

2 – رابح فيلالي: وعد الياسمين، الشروق للإعلام والنشر ،الجزائر ،ط1، 2012،ص: 56

3–المصدر نفسه،ص: 54

ومواعيد الليل تبدأ بمواعيد عينيه، وسّدوه رحمة التراب"[1]، يصوِّر الكاتب مشهدا من أكثر المشاهد الأليمة على الإطلاق، مشهد تقشعر له الأبدان وتبكي له الأفئدة دمًا،مشهد أم سعيد وهي تودّع ابنها، وتستعيد سلسلة من الذكريات، ف"كانت الذاكرة شرسة في هجومها العنيف تلقي في وجهها حطام أحلامٍ حلمتها في يوم مضى"[2]، تستعيد سعادتها عندما حَمِلَتْ به وحينما احتضنته أوَّل مرّة لترحِّب به في هذا العالم الذي حرمها منه اليوم، فارقته بدموعها ونحيبها، بصوتها، وبكاءها، صلواتها ودعائها لعلَّها بذلك تخفِّف قليلا من وحشتها، وتتخفِّف من قهرها الذي لن ينتهي.

إنَّ القارئ لهذا المقطع الروائي يكتشف حضور صورة الوطن التي ليست صورة إيديولوجية ،ولا صورة ثورية أو خطابية بقدر ما هي صورة رمزية في غاية الشفافية ، التي ارتبطت بأسمى العلاقات الإنسانية على الوجود، وهي علاقة الأم بابنها التي تحرص على أن يوسَّد ابنها التراب، فهو أكثر رحمة وأحنَّ عليه من العالم الظالم، وما أريد الوصول إليه هو أنَّ الكاتب لم يجد سوى الأم دلالة على الوطن لوجودها الإنساني ووسيلة لإرساء جذورها في وطن يحترق،"**لذلك حلمت يا أمي بوطن لا ينتمي إلى الاتجاهات ،بل ينتمي إلى أهله ،وطن يرسمه أبناؤه المعجونون كلهم من التراب نفسه الذي لا يعرف الانحياز أو التعصب كعائلة أو عقيدة ،وطن يعمّر الإنسان بإرادته المسئولة التي منحته إياها السماء**"[3].إنَّ الكلّ يهرب من وطن يلبسه الخوف، وطن امتلأ بالعبث والدمار، فكلٌّ من وعد وياسمين و سعيد يعاني الشعور نفسه،لكن هذا الشعور يتلاشى مع كِبر أحلامهم في تغيير مستقبل وطنهم إلى الأفضل.

تعتبر الأم رمز للأمان كيف لا وهي حضن الأمن والأمان، " **في هذه الزاوية من البيت الطوبي تعلمت وعد أبجدية الحياة و تهجت مفرداتها ،تعلّمت في حضن أمها كيف تحلم بلا خوف**"[4]، فقد تعلّمت وعد من أمها كيف يكون الإنسان شامخا كالطود لا يهاب الموت ولا يخاف من المستقبل ،ولأنّ الحلم لا يتحقق إلاَّ مع الأمن والأمان، فالأم رمز لكل ما هو

---

[1] –المصدر السابق،ص:211

[2] –م ص،ن ص.

[3] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:54.

[4] –المصدر نفسه،ص:56

جميل فهي الحلم الطيب الذي يبعد عن وعد كلّ الكروب والمآسي في البيت المتواضع وكذلك هو الأب في الرواية فهو رمز القوة، " **كان أبي نموذج الرجل الوحيد الذي عرفته مثلما كانت أمي هي مثال الحب في بالي**"[1]. تكتسب وعد الثقة من والدها الذي كان يفهم في دنيا الناس وتعلمت الحبّ من أمها، فوالديها علّماها قيم الحياة بتوءدة وصبر كبيرين، فالحبّ عندما يصنع كلّ شيء، فحينما تكون الأرضية مستقيمة لا فيها تهور ولا ارتباك، بالحب الحقيقي يصنع الإنسان طريقه، فلا يعرف الكره ولا السخيمة، لأنّه بالحبّ تبنى دول وأمم وبالحقد والكره تهدم دول وتفنى.ولأنه الأب، ولأنّها الأم بكل ما يحملان من دلالات ومعانٍ، فقد كانت وعد تحلم دائما بغد مشرق مادام والداها هما دنياها.

ولعلّ تجسيد الروائي صورة الوطن في حنان الأم وخوفها على أبنائها، لما تحمله من احتواء وانتماء بالنسبة لأطفالها، فهي بهذا تكون مثل الوطن الذي يحتوي ساكنيه، فأخذ الوطن ملامح الأمومة وأعطاه من الحنان والانتماء قدْرًا كبيرا."**تحت زحمة مشاعر الامتنان لكرم يديها و العرفان أمام عطائها مدَّ يديه إلى رأسها و طبع على جبينها قبلة ترتبك أمام قامتها ،واعدا إيَّاها بصمت ،من دون أن تنتظر وعده بأنها ستكون سيدة النساء**"[2]، ولأنّ الحياة لن تكون حياة متزنة بدون الأم لأنها منبع الحنان والدفء والعطاء،والكرم كلّه،فقد كانت القيمة الأسمى والأعلى التي ضحّى سعيد بحياته من أجلها، فهاهو يودّعها ويوصيها في هذا المقطع الروائي "**قل لها إنَّ وصيتي ألَّا تحزن على موتي، فأنا أموت من أجل أن يحيا الآخرون ،قل لها أني أموت من أجل كرامتها و حريتها هي و كل الأمهات ،أنا أموت من أجل نزع الخوف من نفوسهنَّ وزرع السكينة في قلوبهنَّ،حتى يستمر حلمهن بأن العالم أمين على أطفالهن و رجالهن** "[3]، إنَّ الموت هي نهاية الإنسان في هذه الدنيا الفانية ودار الآخرة هي دار البقاء،فموت سعيد كان من أجل أن تحيى أمّه بكرامة وحرية هي وكلّ الأمّهات،فموته قتل للخوف الذي سكن قلوبهن لمدة طويلة،وزرع السكينة والطمأنينة وبعث الحياة من جديد في قلبٍ لطالما عانى من ويلات الظلم والقهر،فالظاهر أنَّ المعني في كلام سعيد هو الأمّ وحدها لكن في رمزية خفية فهو يعني الوطن تونس.

---

[1] –المصدر نفسه،ص:62.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:88.

[3] –المصدر نفسه ،ص:159.

وفي موضع آخر يصرّح سعيد بوحدته في قبر بارد موحش بعيد عن أمّه،" **لأجلك أموت الآن وحيدا في قبر مأجور ،يصنّع الموت،ويلقي بجثثه إلى عربات الحزن الصامت لأناس كل ذنبهم أنهم ينجبون أطفالا يحلمون**"[1]، فهو يشعر بعذاب أليم من دونها ،وهي التي تتقطّع حزنا على فقدانه لها ولا ذنب لها سوى أنها أنجبت طفلا كان حلمه الكبير هو قاتله،فمن لا أمل له لا حياة له.

استعمل الروائي الأم كرمز للوطن لأهميتها في الوجود الإنساني كما هو الوطن،لذا فقد كانت أكثر المقاطع الروائية موجَّهة إلى الأم، أمّ سعيد وأمّ وعد والأمّ التي استشهد زوجها وتركها وحيدة مع أطفالها تعاني فقدانه، وكلّ أمهات تونس اللواتي يرمزن إلى التضحية والأمان والدفء والحنان، فكل هذا تجلّى في أهمية الوطن بالنسبة للإنسان،"**إنَّه الآن في بطني أحمله حلما كما كنت تشتهي ،لا تهتم ،نمْ بجوار ربِّك بين رفاقك في السماء التي تستحقونها،واطمئن في رقادك لمستقبل طفلك الآتي على وقع الحرية**"[2] ،تستحق الحياة التضحية مادام الإنسان يعيش الحلم ويطمح إلى الحرية والانعتاق وهذا لن يكون إلاَّ حينما نمسك بتلابيبها، ولن يتركها مادام قلبه ينبض، فلا حياة دون حرية، ولا حرية دون مدنية يعيش فيها الإنسان الحياة الكريمة له ولأولاده. فالحلم سيتحقق إذا أراد الشعب الحياة،"**شعب تونس يستعيد الشابي بكل زخم الشباب فيه،تهتف بحناجر التونسيين كلهم فيتقدَّمون حياة وحماسًا، يندفعون مشرعين صدورهم للرصاص ليكسروا إرادة رجلٍ نصَّب نفسه كقدرٍ محتوم عليهم**"[3]، ولذلك لا ننفكّ نرى أنَّ شعب تونس حسب الرواية كان شعبًا مليئا بالحياة بالرغم مما كان يحيط به من ظلم وقهر،كما أنّه كان طموحًا إلى الحرية من هذه القيود ،فالحرية "منطبعة في قلب الإنسان من أصل الفطرة"[4]، فحبُّهم المفرط لحريتهم وإصرارهم على أخذها نمى فيهم حبّ المقاومة ورفض الخنوع والاستسلام، فحرية وطنهم تؤمِّن لهم مستقبلاً لا قيود فيه ولا ضغوط.

---

[1] – المصدر نفسه،ص: 161.

[2] – المصدر نفسه ،ص:229.

[3] – المصدر نفسه،ص:228.

[4] –رفاعة رافع الطهطاوي:السياسة والوطنية والتربية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1973،ج2 ،ص: 475.

المرأة :

يكثِّف رابح فيلالي دلالة المرأة و يخرجها من نطاق جسدها بجعلها رمزا لمدينتها و رمزا للوطن الذي تعيش فيه، وعنصرا إيحائيا يمثل ذاته بقدر ما يمثل المرموز له، فليس الرمز "نقلا عن الواقع، وإنما أَخَذَ منه ثم تجاوزه ليتخلَّص من واقع المادة ليرتفع إلى مجال التجريد وهنا يتحقق الإيحاء"[1].فيربط بطل الرواية سعيد بين حبيبته سميرة التي تزوجت برجل غيره كونه من رجال السلطة و النفوذ،و بين وطنه الذي خانه ولم يمنحه وظيفة لائقة ليعيل أمّه وأختيه ،" **تعرفين أني رجل يحمل الوطن على كتفيه، وإن طحنته الحياة في كل لحظة،تذكرين وأنا ألتقيك قلتُ بلغة كافرة،إني رجل أبحث فيك تعويض خسائري الكونية .. أريد فيك ذلك الوطن .. أريدك أنتِ يا كلَّ الوطن ،فاتنا في اللحظة أن نعرف معنى الوطن من خيط الشمس الذي كان يقطع النافذة المجاورة** "[2]،فسعيد يبحث في حبيبته عن الوطن الذي لطالما أحبه، يريدها تعويضا للحرمان والظلم ومعاناته من سوء المعيشة ،وآملا بحبه لها أن ينسيه ذلك. "**أنتِ الإنسان الذي ملأ أحلامي، أفكارك التي ترفض فيها القيود بكل أشكالها وتنتصر فيها للحلم وترفض كل أشكال الإقصاء وتؤمن من خلالها بقوة الانتماء إلى الأرض والإنسان وحلمنا المشترك**".[3] ولأن الرمز تركيب لفظي " أساسه الإيحاء – عن طريق المشابهة – بما لا يمكن تحديده، بحيث تتخطى عناصره اللفظية كل حدود التقرير، موحدة بين أمثاج الشعور والفكر"[4]،فارتأى سعيد أن تعادل صورة حبيبته لصورة الوطن وتتوحد معه في صورة واحدة، وكأنَّ المكان قد أسقط صفاته على ساكنيه وأكسبهم طبائعه،حين يقول:" **في عينيك ومضت شرارة ثورتي التي لا تخبو، أنا لست غير ذلك الركن الصغير من فضائك**"[5]، فسميرة بالنسبة لسعيد هي المكان الذي يريد أن يسكنه، في عينيها يعلن ثورة ضد كل أشكال الظلم والقهر والاستبداد الذي عانى منه في وطنه ومن حاكم القصر ورجاله الذين حرموه حتى من متعة الحلم، هو رجل اصطدمت أحلامه بواقع إسمنتي قاس،لا يسمع، لا يشعر، كانت لغة الحوار الأخيرة بينه وبين هذا الواقع أن يصطدم

---

[1] –فاطمة الزهراء:العناصر الرمزية في القصة القصيرة، دار نهضة مصر للطبع و النشر،الفجالة–القاهرة،1984 ،ص:20.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:195.

[3] –المصدر نفسه،ص:49.

[4] –أحمد محمد فتوح:الرمز و الرمزية في الشعر العربي ،ص:42.

[5] –المصدر نفسه،ص:54.

بقرار الانتحار ليقرر الرحيل إلى الأبد بإضرام النار في جسده، لذا نجده يقول في آخر لقاء له بحبيبته:" **هل تسمحان لي، أنتِ والوطن، الآن بموتٍ هادئ فأنا لا أحتمل خيبة أخرى في الموت وسط ضجيج يشوش عليَّ متعة الانتقال بين عالمين** "[1]، ففي الرواية تمثِّل سميرة رمز للواقع التونسي الذي أصبح مرهونًا بقرارات حاكم القصر الذي يضيِّق النطاق على سكان المدينة لحدّهم عن التعبير أو محاولة تغيير الأوضاع السائدة.

"الوطن قد يصبح في مرحلة من المراحل عشيقة جميلة من كلّ العشيقات،وأغلى من كلِّ العشيقات"[2]، ففي الرواية تمثّل الوطن في صورة الحبيبة سميرة التي تزوجت من أحد رجال القصر كونه يملك السلطة والنفوذ، "**سميرة حب كبير و قد انتهى إلى صمت أكبر** "[3]، فهي رمز لتونس التي تئنُّ في صمت من فوضى وعبث الحكّام بأبنائها ،واحتكار أصحاب السلطة لها بأطماعهم وملأ حساباتهم البنكية، "**مات الحلم ورحلت سميرة..هي الآن سيدة لرجل آخر غيره بالامتياز وبخلفية الفارق الواحد أنه من مقرّبي القصر،فالقصر يملك حتى قرار الموت والحياة في هذا الوطن فما بالك بنهايات قصص الحبّ** "[4]. فأصحاب القصر في الرواية هم من يفرض القوانين ويطبّقها فقط على سكَّان سيدي بوزيد المحرومين حتى من حقّ الحبّ.

إن قضية الوطن هي المحور الأساسي في رواية وعد الياسمين ،"ومن ضمن ما يلجأ إليه الروائي في طرح قضاياه هي المرأة و في هذه الحالة لا يكون هدف الكاتب تصوير المرأة حسّيا فحسب، بل يتَّخذها رمزا لشيء آخر، كأن يرمز بها إلى الحرية والثورة والوطن"[5]،فالروائي يلوذ بالمرأة التي يشحنها بمشاعره الوطنية، وهذه المرأة تتمثل في شخصية "وعد" هي المرأة التي تأتي من سيدي بوزيد، أمٌّ لطفلين وأستاذة جامعية وامرأة طموحة في تغيير مستقبل تونس وأوضاع بلادها وقريتها وأهاليها، لتتحول إلى رمز خلال الثورة التونسية ضد حاكم القصر وأعوانه حسب أحداث الرواية ثم تنتخب رئيسة لتونس، فوعد هي رمز للوطن ورمز لتونس والحرية والتغيير،" **أنا امرأة لم تستطع كل السلطات ترويضي وإخضاعي**

---

[1] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:196.

[2] –أحمد حيدوش:شعرية المرأة وأنوثة القصيدة(قراءة في شعر نزار قباني)،منشورات اتحاد الكتّاب العرب،دمشق،2001،ص:92.

[3] –المصدر نفسه،ص:90.

[4] –المصدر نفسه ،ص:91.

[5] –صالح مفقودة :المرأة في الرواية الجزائرية،دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع،بسكرة–الجزائر،ط2، 2009،ص:139.

لما هو قائم، اخترت حقل البحوث الأكاديمية،عازمة على أن أساعد الجيل الجديد من خلال التدريس في الجامعة ،أطمح لأن أستثمر الطاقة الجبارة التي يمتلكها هذا الجيل، إنه وحده الذي يمكن أن يكسر قوالب الجمود ويغيِّر التاريخ"[1].لقد حفلت الكتابات بالمرأة والوطن ومزج بينهما في الكتابات الحديثة، واختزلت المرأة في صورة الوطن، كما يختزل الوطن في صورة المرأة ،ووفق تقنية الترميز التي يجعل المرأة رمزا للوطن، استعمل الروائي شخصية وعد وياسمين وسميرة كرمز للمرأة التونسية ورمز للوطن تونس، "**أموت الآن حتى يعيش الوطن وأنتِ وأعرف أنَّ الوطن خانني و خان أبي وتَرفَّع عن أحلام أمي** "[2].وهذا حديث لسعيد على فراش الموت يخاطب حبيبته الذي دفع حياته ثمنا لتعيش هي والوطن الحياةَ التي حلم بها والحرية التي لم ينلها ولو مرة في حياته، ونجده في مقام آخر أيضا يعاتب وطنه الذي خانه و خان أباه ،"**أول شيء راح أبي يعلِّمني إيَّاه، هو أنَّ لي وطنا ينتظرك حتى تكبر و تحقق لك أحلامك كلها،صدَّقتُ، ورحت أنتظر أحلامي و أكبِّرها.مات أبي ولم يتحقق شيء منها، مات مقهورا وماتت معه أحلام بوطن عادل**"[3]، وهنا تكمن خيبة أمل الشعب الذي ينتظر من وطنه تحقيق أحلامه بوطن عادل و أمين، وطن يمنح الحرية والاستقلال لشعبه،وطن يوفر العيش الرغيد والحياة السعيدة لأبنائه، ولكن أحلامهم لم تتحقق على رغم بساطتها،"فالحلم تجربة للرغبات المكبوتة في عالم اللاشعور"[4]، ولذا كان سعيد يفرّ من الواقع المليء بالآلام فيغرق في أحلامه وحبه لوطنه حتى ينتشل نفسه من واقع لا يقوى على احتماله،"**هو الوطن يولد الآن، وطن أرحب من أحلامنا، سيتسع قلبه لنا مهما تعددنا هذا هو وطننا كما تمنيناه**"[5]،وهذا الحلم متصل بالماضي ومتطلع إلى المستقبل، ماضي يحمل ذكريات أليمة من فقر وجوع وحرمان وكلِّ أشكال الظلم إلى مستقبل مجهول الملامح ومحدود المعالم،كلّ هذا نما و ترسَّخ في ذاكرة كل فرد من أفراد سكان سيدي بوزيد .

---

[1] – رابح فيلالي :وعد الياسمين،ص:24.

[2] – المصدر نفسه،ص:195

[3] – المصدر نفسه ،ص:184.

[4] –محمد غنيمي هلال:النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،(دط)،أكتوبر 1997، ص:370.

[5] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:232.

إنَّ"الرمز ليس تحليلاً للواقع بل تكثيف له"[1]، فنجد الروائي يكثّف من استعماله للرمز الذي يوحي إلى الوطن، وذلك من خلال وصفه للألم الذي سكن وعد والخوف من مستقبل مظلم في قوله: "**بعدما استنفذتها شهقات البكاء على حاضرٍ ينزف ومستقبلٍ يحمل احتضار وطن على قسماته، امتلأت بصور الماضي ،انهمرت عليها الذاكرة الموجعة حدّ الغرق**"[2]، وهذا الألم نابع من الأحلام المكسورة لأبناء تونس الذي عانى من سلطة وجبروت حاكم القصر والبوليس الذي ينتشر في أنحاء الوطن، ومهمَّتهم في ذلك تدمير أي شيء يمكن أن يعيق طريقهم .

"إنَّ صورة المرأة في الرواية أكثر رهافة وحساسية، وأشد وضوحا في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل، إن الظروف التاريخية والاجتماعية التي مرَّ بها مجتمعنا جعلت حركة المرأة وتحررها مواكبة لحركة الوطن، لذلك من السهولة بمكان الربط بين الفكر الذي ينادي بتحرير المرأة وينادي بتحرير الوطن"[3]، فقد عمد فيلالي في روايته إلى تقريب المعنى وتعميقه من خلال استعمال المرأة كرمز إلى الوطن، فالتعلق بالوطن، وحرقة الحنين إليه، يفجّره دخول العنصر الأنثوي، ويمثل الروائي ذلك بتمازج علاقة الوطن والمرأة والحلم والواقع" **ترى في نفسها القدرة على انتشاله من حتمية الضياع في صمت المدينة و يرى فيها حلما مستحيلا**"[4].والحلم هنا لا يقف عند حدود المعنى الدلالي لتلك الكلمة، فالحلم يأتي من الواقع فلا وجود لحلم دون واقع ينطلق منه ويحاول تجاوزه والتخلص منه.

لقد أظهر الروائي صورا من صور الوطن التي تمثلت في الأرض والحلم والمحبّة ولعلَّ هذه الرمزية الثلاثية هي التي انطلقت منها الرواية هي المحور البارز في الرواية والتي تنطلق منها مختلف الرمزيات،

فلولا حبّ سعيد لأهله ووطنه وأرضه لما استطاع أن يضحي بحياته ليحقق حلم الحرية الذي لطالما حلم به،" **كونوا المحبة التي خصتكم بها السماء ..كونوا الوطن الذي وجد حتى يتسع للجميع، كونوا الأرض التي وجدت حتى تظل خضراء ،وكونوا تونس كما حلم بها**

---

[1] –محمد فتوح أحمد :الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،ص:140.

[2] –المصدر نفسه،ص:214.

[3] –طه وادي:صورة المرأة في الرواية المعاصرة،دار المعارف،القاهرة،ط2،1983،ص:52.

[4] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:89.

سعيد،وهو يختار المواجهة المستحيلة "[1]، بالمحبَّة والصدق نكوّن الوطن حَجَرًا حَجَرًا وزاوية زاوية، فالوطن هو المنبت الحقيقي للحلم الذي نريد تحقيقه،ولهذا حينما نكون يكون الوطن،سيتسع للجميع بالرغم من تناقضاتهم، فهو يعيش فينا، يجمعنا ولا يفرِّقنا، ومن لا وطن له، لا كرامة له ولا عنوان، وما يريد الروائي توضيحه من خلال هذا المقطع الروائي هو أن الوطن تعدّى حدود جغرافيته ليتجلّى في الحب الكامن بين القلوب، تجلّى في الأرض التي تنبت السنابل الشامخة والعامرة، والنخيل الباسق الذي لا تهزّه العواصف الهوجاء، تجلّى في تونس التي لم ترضى الذلّ والهوان، تجلّى في الحلم الذي حمله سعيد طوال حياته وسعى لتحقيقه، ولكنه لم يعش ليفرح بحرية تونس من الحاكم المستبد و يرى الفرحة في أعين أمّه وأخواته وسكان سيدي بوزيد وتونس ككلّ.

وكذلك تجلّى الوطن في وجهين:من حيث الانتماء والاغتراب.

الانتماء:

الانتماء ظاهرة إنسانية فطرية تربط بين مجموعة من الناس المتقاربين والمحدّدين زمانًا ومكانًا بعلاقات تشعرهم بوحدتهم ، وتميّزهم تمايزا يمنحهم حقوقا، ويحتّم عليهم واجبات"**بقي في داخله جزء لم يستطع تدجينه، فتبيَّن أنه الجزء الأهم،إنه الجزء المعجون بتراب هذه الأرض**"[2]، وبمعنى آخر فالوطن يشكّل واقعنا الأبديّ الذي لا يمكن الاستغناء عنه،وأنّه مقامنا الأعلى الذي يقتضي على أبناءه المحافظة عليه،فهو بالنسبة للإنسان البيت الكبير والقلب الحنون،الذي يحيى فيه ،وهو المكان الوحيد الذي ينتمي إليه، فحتى لو سافرت أو هاجرت إلاَّ أنَّ الشعور بالغربة لا يفارقنا."فبين الإنسان والانتماء علاقة تلازمية، يتنوّع فيها الانتماء بتنوّع العلاقات الإنسانية في مكان وزمان محدّدين،فهو ظاهرة إنسانية قُدمَى يرقى تاريخها إلى بداية تاريخ الوجود الإنساني نفسه"[3].فالانتماء إلى الوطن يكتسبه الإنسان منذ الصغر ويكبر معه ويتوارثه جيل بعد جيل،" **علَّمنا أهلنا أنَّ الوطن كريم مقابل كرامته، هو لا يطلب منَّا أكثر من تفقده ونحن نمضي في دروب الحياة، ورُحنا نعشق ترابه، ونسعى**

[1] –المصدر نفسه،ص:243.

[2] –المصدر نفسه،ص:136.

[3] –فاروق أحمد أسليم:الانتماء في الشعر الجاهلي(دراسة)،منشورات اتحاد الكتّاب العرب،1998،دمشق،ص:9.

لنضارة خضرته ، ونحلم بمستقبل يزداد إشراقا في وجه تونس"[1]، نلمس من هذا مدى تعلّق الناس بأوطانهم فهم يتعلّمون ذلك منذ الصغر فينمو ذلك الحب وتنمو قدسية الوطن وعظمته في قلب كل فرد من أفراد الوطن.

إنَّ المكان "هو عنصر ضاغط على الذات مصيغٌ لها، وهذه الخبرة تتشرب كل ما يعطيه هذا المحيط لتعيد صياغته، وتشكيله من جديد وفقا لمنطلقاتها"[2]، "**تأملت وعد الصورة قبل أن تدرك أنَّ العالم الجديد يتشكل من حولها لم تعد هناك قيمة الحدود الجغرافيا ولم تعد هناك غرف سوداء لصناعة التاريخ كما يريد له أصحاب القرار أن يكون، هناك تاريخ واحد تصنعه الشعوب بالطريقة التي تحقق آمالها**"[3]، بعد حرق سعيد لنفسه احتجاجا على الأوضاع المتدنية التي وصل إليها، وملاحقة البوليس له والتضييق عليه،خرج شعب تونس بعد سماعهم لنبأ وفاة سعيد متأثرا بحروقه، وذلك تضامنا معه واحتجاجا على الحاكم المستبد،ومطالبين بتغيير النظام ومنادين بإسقاطه.

الاغتراب :

الاغتراب افتعال من الغُربة، وقد ذكر في المعاجم العربية بمعنى النزوح عن الوطن والابتعاد عنه، والاغتراب هو "حسٌّ نفسي وشعوري يولد حالة من التوتر بين الذات التي تُبدِع والمدينة التي تُبدَع، بوصفها كثافة عالم ميكانيكي بلا قلب، بلا روح"[4].فالاغتراب هو ظاهرة نفسية وفكرية، وذاتية لها أسبابها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي تسهم في استفحالها و"قهر الاغتراب مرهون بتحقيق التغيّرات الاجتماعية والاقتصادية المناسبة التي تسمح للإنسان أن يعبِّر عنه بشكل تلقائي حرّ"[5]، ممَّا يجعل العلاقة بين الذات والآخر مبنية أساسا على التنافر،والاستلاب،والعزلة والتفرّد، وقهره مرهون بإصلاح هذه الأسباب لصالح الذّات والآخر.

---

[1] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:81.

[2] –قادة عقاق:دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقّي الجمالي للمكان، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق،2001 ،ص:278.

[3] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:171.

[4] –المصدر نفسه، ص:215.

[5] –حماد حسن محمد حسن:الاغتراب عند ايريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،بيروت،1995،(دط)،ص:142.

وقد تعدّدت أنماط الاغتراب حسب محمد راضي جعفر ،"فهناك الاغتراب الاجتماعي والسياسي والعاطفي والمكاني و الروحي"[1] ،ومن أوجه الاغتراب التي تجسّدت في الرواية هو الاغتراب النفسي وهو عبارة عن جو نفسي مشوّش،يبعد النفس عن واقعها،ويجعلها حائرة وتائهة،دائمة الغُربة عن أقرب الأشياء إليها،وذلك ما يمثّله الاغتراب الوجداني الذي يحسّ به سعيد نحو وطنه الذي ولد وتربّى فيه واستنشق هوائه ،ولكنه لم يعد نفس الوطن بالنسبة إليه،"**كان هناك وطن يتشكل بالتوازي، غير ذاك الذي سكن وجداني**"[2].فقد كَبُر سعيد وكبُر معه وعيه بظلم الوطن له،وتفاقم شعوره بالغربة الوجدانية نحو وطنه، وذلك حين تعذر عليه الحصول على عمل بالرغم من شهادة الجامعية المتحصل عليها بتقدير جيد،فهو يحمل مأساة جيل عاش في وطن لا يملك منه شبرا، وطن لم يوفر أدنى حقوق المعيشة وهو العمل والسكن المحترم،فبالرغم من مستواه الجامعي فهو يعمل في طاولة لبيع السجائر حتى يضمن البقاء على قيد الحياة،" **لم أعد أملك شيئا أخاف من خسارته، حرمت فسحة الحلم، وخسرت كرامة الحياة، وانتهيت إلى رابض كحيوان مروِّض على قارعة رصيف أبيع فيها السجائر**"[3]،ففي الوطن الذي لم تكتمل ملامحه بعد، يمر الزمن و يتمادى وطن الولادة في معاناة وقهر سعيد ويتحول إلى وطن حلم، فعندما يصل إحساس سعيد بالاغتراب إلى أوجِّه يتشبّث بأيِّ شيء حتى لا يفقد انتماؤه ،"**استقرَّ خلف طاولته و أخذ الرفض يتفاقم في داخله ،هو لم يكن يحب وطنه فقط، بل كان يعرفه وطن يسترخي بدلائل في حضن منطقة يسمونها الشرق الأوسط**"[4].فالوطن الذي كان يعرفه لم يعد له،بل أصبح وطنا لأصحاب السلطة والنفوذ في تونس،"**كان يفكر في خيانة وطنه تونس له، لقد منحه أحلامه، لكنه ارتمى في أحضانهم هم، راح يقول لي:هذا الوطن لم يعد لنا يا وعد، إنه لهم، هذا ليس وطني أنا بل وطنهم**"[5].وعلى هذا تتوالى خيبات سعيد في وطن لم يستطع أن يجود أكثر إلاَّ على أصحاب السلطة.

---

[1] –محمد راضي جعفر:الاغتراب في الشعر العربي المعاصر،مرحلة الرواد (دراسة)،منشورات اتّحاد الكتّاب العرب،1999،ص:06.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:71.

[3] –المصدر نفسه،ص:80.

[4] –المصدر نفسه،ص:77.

[5] – المصدر نفسه ،ص:74.

وبهذا نجد الروائي قد حمل هموم الإنسانية المضطهدة، وهموم الشعوب التي عانت من وطأة الحاكم الظالم المستبدّ الذي خرَّب الوطن بأنانيته، وجشعه، وجوره وسلطته، وفي الرواية انعكس هذا على الشخصيات الروائية التي تنتمي إلى المنطقة المحرومة من أرض تونس وتمثَّل ذلك في شخصية سعيد الذي عانى الانفصال الذي زلزل وجوده لأنَّه اغترب عن وطنه الذي أحبَّه ونمت جذوره في أعماقه، وهذا ما أفقده توازنه ليعيش حالات التّيه والضياع، والحرمان الذي أدى به إلى الرغبة في الموت والهروب من وطنه إلى الأبد، "**حينها فقط أدركت أنَّ الوقت قد تأخّر،وأنَّ لا جدوى من مواساة سعيد، الذي لم يجد من وطنه الذي خانه غير الاسم فقط**"[1].لقد تحوّل وطن الأحلام إلى فضاء اغتراب لأنَّ الشخصية لم تتمكّن من تحقيق الانسجام، لذا كانت خيبة الأمل كبيرة في وطنه وهذا ما جعله يشعر بالغربة في وطنه، فقد"يسعى الإنسان دائما إلى الإحساس بوجوده الحقيقي الذي لا يفقد صلته بالأرض التي تمثّل الوجود"[2]. ولكن إذا حدث وفَقَدَ الثقة بالمكان الذي يعيش فيه، فهنا يفقده الرغبة بالوجود والبقاء.

وقد أبدع الروائي في تصوير الاغتراب الذي أحسَّ به سعيد، فلم تكن الغربة هي غربة خارج الوطن أو الابتعاد عنه أو فراقه، وإنَّما هي غربة الدار والوطن، غربة قيَّدت حريته داخل وطنه، غربة موحشة أظلمت ليله ونهاره .فلم يَعُد يعرف أي الاتجاهات يسلك، وبأي وطن يثق فنجده يقول:"**كنَّا كمسودات صور نهيم بين بقع السواد في زوايانا المعتمة**".[3]وهذا إن دلَّ فإنما يدلّ على سواد الدنيا في عينيه،فالوطن الذي يصوّره لا حدود له ولا معالم،وطن مظلم موحش كوحشة واقعه الذي لم يرحمه.

ويظل الصراع قائما بين الأنا وما تحمله من قيمٍ حيّة متوارثة في حب الوطن وبين خيبات الواقع، وهكذا يزداد التوتر والشعور بالغربة وألم الوحدة، والوحدة هنا هي وحدة نفسية ،فعلى الرغم من أنَّ سعيد يعيش مع أهله وأصدقاءه، إلاَّ أنَّه وحيد ينفصل عن الواقع ليتصل بواقع أفضل،" **هنا في سيدي بوزيد أنت لا تعرف أين الوطن؟ وطن يولد متطلَّعا نحو النعيم**

---

[1] – رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:74.

[2] –عبد القادر شرشار:خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي–الصهيوني،ص:169.

[3] – المصدر نفسه،ص:97.

الدائم،وآخر يوازيه يتخبَّط في جحيم شرس، وطنان هما أم وطن واحد؟"[1]،"فالاغتراب عن الذات كما يرى علماء النفس هي حالة من حالات الصراع النفسي تؤدّي إلى الإحساس بفقدان الهوية والشعور باختلال الشخصية"[2]، وبهذا تتجلّى شخصية سعيد في كونه شخص سكنته الغربة، وفقد الانتماء في وطنه ويبرّر ذلك الاغتراب بخوفه من حياته الحاضرة التي لم يرضَ بها،والتي أمكن أن تكون حياته أحسن من ذلك،فأكبر خيبة للإنسان ألَّا يكون له وطن يعيش فيه وينتمي إليه ،أو يشعر بالاغتراب فيه ويفقد الصلة بوطنه، فنجد سعيد مرتبكا في حواره مع سميرة "**هل يمضي بي العمر و أنا أعيش بين خيبتين؟ يكفيني واحدة منهما. كنت أركض من واحدة إلى أخرى. عندما خانني الوطن أردتك وطنًا بديلاً. و تختارين أنت إعادة إنتاج الخيبة فيك**"[3]،لأن الوطن حينما يخون قبل أن نخونه، نبحث في أقربينا عن برّ الأمان،نبحث عن حب ضائع ضاع على الرغم منّا،لأنَّ الأمان في الآخر هو نوع آخر من التعزية عن البؤس الذي نعيشه،فلهذا يرى سعيد في سميرة صورة الوطن الذي خانه، وفراقها شجن وبعادها عنه صارم بتّار،فهي في عينيه دفئ من برد الزمان و عداوة الإخوان.

لقد كان الإنسان العربي حسب الرواية يعاني اغترابًا من نوع آخر، اغتراب قهري، فرضه واقع سياسي متأزم، ديكتاتوري، لا يجد فيه هناءه ولا تحقيقًا لطموحاته وأحلامه،" **هل يمكن أن أخاف المعتقل بعدما تحوَّل الوطن كلّه إلى سجن كبير؟**"[4]، فاغتراب البطل هنا وليد إحساس بالظلم والقهر، ومعاناته من الواقع السياسي جعلته يرى الوطن وكأنَّه سجن كبير.

"أمّا مظاهر الاغتراب فيتفق علماء النفس على أنَّ هناك شعورا سائدا بالألم والحزن واليأس والعجز والعزلة الاجتماعية،ويتميز المغترب بالقلق، والاكتئاب وغالبا ما يكون عدوانيا في سلوكه مع الآخرين، مع إحساس باللّاواقعية والفراغ والملل والسأم والسخط، وانعدام فعالية في هذه الحياة"[5].وهذا ما تجسّد في سعيد الذي عانى من الاضطراب النفسي والقلق على مستقبل أسرته والحزن على الحالة التي تعيشيها تونس، لذا نجده أحيانا يسترجع أيّام الصبا والطفولة

---

[1] – رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:67.

[2] –فاطمة حميد السويدي:الاغتراب في الشعر الأموي،مكتبة مدبولي،القاهرة،ط1997،1،ص:159.

[3] –المصدر نفسه،ص:194.

[4] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:81.

[5] –فاطمة حميد السويدي:الاغتراب في الشعر الأموي،ص: 160.

السعيدة،" **في أحلام طفولتنا كان الوطن يولد كبيرا واسع المدى، وكانت أمانينا تكبر مع كل حبَّة مطر تنهمر على الأرض، ومع كل وردة تزهر في الربيع، لكن ذلك الوطن تغيَّر، لم يعد يطربنا بالأغنيات نفسها**"[1].يتذكر سعيد أيام صباه حين كان يغنّي أناشيد الوطن في كل مناسبة، فقد كان الوطن يقف معه كلَّما داهمته الهموم والأحزان، وكان حبّنا يكبر في كل لحظة من لحظاتنا، فقد كان الوطن يتّسع لأحلامه كلها ،ولا يكفُّ عن تدليله، يعطيه ما يريد ولا يبخل عليه إذا طلب المزيد، كان وطنا كريما سخيًّا كحبَّات المطر،التي تشبع الأرض ولا تتوقف حتّى ترتوي، هذا هو الوطن الذي كان يعرفه في طفولته ولكنه تغيّر، لم يعد نفس الوطن،لم يعُد له طعم ولا رائحة ولا لون.

الحلـم:

ومن رمزيات الوطن التي اختارها الروائي في روايته هو الحلم ،"ويعدّ الحلم وسيلة لإظهار قلق الشخصية، وما يدور في داخلها من أفكار تود طرحها بطريقة غير مباشرة معبّرة عمّا تريد بحرّية تحت ستار الحلم"[2].مادام الوطن قد تحوَّل بفعل تدخل عوامل مختلفة إلى فضاء غير مرغوب فيه، فإنَّ سعيد لم يبق له سوى التفكير في الوطن الحلم، وطن يرسم ملامحه في الذهن، بطريقة مغايرة للواقع الذي صار لا يحتمل، والحلم كما نعرف شكل من أشكال الهروب من الواقع، بكل بساطة هو وطن حلمٌ أكثر منه واقعًا، والحلم ببنائه وتشييده ليس وليد دوافع نفسية أو مادية بل هو بمثابة فرار من وطن يعيش واقعًا مأساويًا يرفضه أبناءه.

يتحدّث الروائي عن وطن لم تتّسع له الأحلام،وطن لا ضياع فيه، لا ظلم فيه،إنّه وطن الحلم،هو المكان الذي يتمنّاه سعيد و يتمنّاه سكان سيدي بوزيد، وطنٌ يتّسع قلبه لهم مهما تتعدّدوا،" **ألا تحلمون أنتم بوطن أجمل؟ أنا أجزم بذلك،كذلك سعيد لم يفعل أكثر من الحلم بهذا الوطن**"[3]، فالوطن الذي يريده سعيد ليس مدينة ساحرة أو جنّة فوق الأرض، بل مكان يركن إليه ليلاً، يستند إليه في خوفه، ويحسّ فيه بأمان لا ينتهي،وطن حلم يحتضننه وينسيه غُربة الزمن، لا يتركه عندما يحتاجه مثلما يفعل البشر، هكذا هي أحلامه، ولم يفعل أكثر

---

[1] – المصدر السابق،ص:67.

[2] –أسماء أحمد معيكل:الأصالة والتغريب في الرواية العربية،روايات حيدر حيدر نموذجا(دراسة تطبيقية)،عالم الكتب الحديث، أربد،الأردن،ط1، 2001،ص:340.

[3] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:149.

من الحلم بغد مشرق في وطنٍ مظلمٍ." **لم نكن نحلم بأكثر من حياة كريمة،وخبز يؤكل وبيوت نركن إلى دفئها في لياليا**"[1]، فهذا هو حلم سعيد في وطنه، ونجده يتساءل في موضع آخر:" لماذا اختارت أحلامنا على بساطتها أن تكون مستحيلة"[2]، بالرغم من بساطة أحلامه إلاَّ أنَّه يراها مستحيلة التحقق.

إنَّ اعتماد الروائي على رمزية الوطن والتي تمثلت في الحلم،لا يعني ذلك أن الرواية تبتعد عن معالجة قضايا الوطن في الواقع ومشكلاته،بل هي ترسم صورة أخرى عنه، صورة يتجاوز بها الروائي معطى الواقع المعيش، ليبدّله بواقع آخرٍ،فتجلت صورة أخرى للوطن مختلفة عن الواقع في ذهن سعيد وشعب تونس هو صورة الوطن الحلم ،الوطن البديل والوطن الأفضل ، ومن ثم يجد البطل ضالته في الحلم، كل شيء يتحقق وكل شيء يستجيب لتصورات البطل و أفكاره، إذ لا وجود لفكرة عدم تحقق الشيء ووقوعه.

ومن هنا تتضح قيمة الحلم التي تقضي على مقولة الإمكان فكل شيئا يصبح ملكا للبطل فهو قادر على امتلاك كل شيء، "**أول شيء راح أبي يعلّمني إيَّاه،هو أنَّ لي وطنا ينتظرك حتى تكبر و يحقق لك أحلامك كلها، صدَّقتُ، ورُحت أنتظر أحلامي وأكبِّرها، مات أبي ولم يتحقق شيء منها، مات مقهورا وماتت معه أحلام بوطن عادل**"[3]،كانت أمنيات سعيد بوطن يحقق الأحلام تكبر معه، فقد تعلّم حبّ الوطن من أبيه،وتمنّى أن يجد ما كان يحلم به وانتظر طويلا في سبيل تحقّق أحلامه الصبيانية، وصدَّق حينها بوجود الوطن الحلم الذي وصفه له أبوه، ولكن لا مجال للأحلام في واقع مرٍّ، فقد مات الأب ومات أمنياته معه بوطن عادل لا ظلم فيه ولا عدوان.

ونلاحظ أنّ هذا الوطن قد تغيّر واختلف عمَّا كان سابقا خاصة بعدما تحوَّل إلى مكان يقهر فيه الإنسان بسبب آرائه ومواقفه المعارضة لنظام الحاكم أو السلطة، "**تركوا نزيفي يتدفق على الأرض، وراحوا يبدلون دمي بأناشيدهم عن الوطن و الحب و السلام** "[4]،فقد تحوَّلت المدينة إلى وسيلة في يد السلطة لقمع وإخماد تلك الآراء الحرَّة بشتى الوسائل ولو

---

[1] –المصدر السابق،ص:67.

[2] – المصدر نفسه ،ص:67.

[3] –المصدر نفسه،ص:184.

[4] – رابح فيلالي:وعد الياسمين ،ص:79.

اقتضى ذلك إلى قتلهم. وهنا نجد سعيد يتساءل:" **هل كان الوطن محقا و هو يعلّمني فن الخيبة في الحلم؟ لكن أحلامي دائمة الجرأة بفطرتها**"[1]، فخيبة سعيد في وطنه كبيرة، لكن رغم ذلك فقد تعلّم الجرأة في الحلم،الجرأة في رسم الواقع الذي يتمنّاه ،والوطن الذي يريد العيش فيه،فلا حدّ لأحلامه، لذلك في كلّ مرةٍ ينصدم بخيبة في أحلامه، يبرر تلك الخيبة في أن الوطن أدرى بأحلامه، فهو من يرسم حدودا لها.

بين سواد الواقع وبياض الحلم يتخبّط سعيد بين ظلمة السجن الذي أدخلوه ظلما، وبين أحلامه الجميلة التي تخترق أسوار السجن لتصل إلى أرض خضراء لا خوف فيها ولا قيود،" **نحن حلمنا فيما مضى بالحرية فقط، وبوطنٍ يكون لكل أبنائه ،وطن مفتوح على فضاءات الحياة ولي زنزانة تضيق عليه عيشه**"[2]،فها هو يسبح بمخيلته في فضاء وردي من الأحلام الجميلة التي تربطه بحبيبته ويعانق خيالها ويحادثها وكأنها معه،ليتجاوز ظلمة السجن وظلم سجّانيه،"**تجاوز الخيبة والخوف فيك، وحتى حلمك اللّحظة ،فأنا واقعك الذي يفوق سعة قوة الحلم فيك ودعنا نعانق حلمنا في بعض حتى ونحن نعيش على افتراض نحقق أحلامنا المستحيلة الأخرى**"[3].ويمكن أن نقول أنَّ الروائي تعمّد وضع المونولوج الداخلي لسعيد وكأنَّه يخاطب حبيبته، وهذا انعكاس لحالته النفسية المتوترة النافرة للوضع الراهن.

[1] – المصدر نفسه ،ص:195.

[2] – المصدر نفسه ،ص:243

[3] – المصدر نفسه ،ص:48.

المبحث الثاني:الدلالات الرمزية للوطن المتجسّد

استأنس الأديب العربي وعلى امتداد تاريخ هذا الأدب بالمكان والذي ظل يرفده بمعين الإبداع، ويشكّل رؤاه الفنية، ولا يكاد يتخلق الإبداع الروائي إلا مشبعا بمختلف الأمكنة ،وناسجا لأشكال متعددة من الحيز أو الفضاء الجغرافي الممتد كاشفا عن تصورات وأخيلة تتشابك عبر نظامٍ تواشجي بين الزمان والمكان والشخوص في الروايات المختلفة ،في ظل تلونه بمظاهر من الثنائيات والمتقابلات التي تخلق التّوتر الجمالي للمكان الفني ، وتوضح أبعاد شعريته وشرعية وجوده كحامل للذكريات، وحاوٍ للأحلام، طمعًا في استعادة الماضي وإعادة تشكيله أو إعادة تشكيل الحاضر وتغييره ،ثم تصوير المستقبل واستغلاله مباهجه.

الأرض:

يظل الإنسان بطبيعته موصول الوشائج بالأرض التي نبت عليها[1].فقد اعتبرت الأرض شكلا أو "دورا هاما وحاسما –ومنذ القدم –في تكوين حياة البشر، وترسيخ كيانهم وتثبيت هويتهم وتأطير طبائعهم، وطبعها بطابعه الخاص (أي طابع المكان)، وبالتالي تحديد تصرفاتهم وتوجهاتها، وإدراكهم للأشياء، وهذا لكونه أشد التصاقا بحياتهم، وأكثر تغلغلا في كيانهم، وأعمق تجادلا مع ذواتهم"[2]. والعربي خاصة ينشأ وحبّه لأرضه كبير، فيبدأ بحب بلاده التي ترعرع على أرضها وتنسم هواءها، ليكبر هذا الحب وينمو في ذاته وكيانه فتكبر آماله في هذا الوطن الممتد[3].ولذا نجد البطلة وعد تعبر عن مدى تعلقها بأرضها وحبها لوطنها الذي ولّد داخلها طاقة تجاوزية للمسافات والأزمنة "**وحده حب الأرض يصنع مني إنسانة متحررة من سلطة القصر و رجاله ، أستطيع أن أتجاوز الحاضر وكافة الأسرار التي تحاصر أحلامنا من كل الجهات** " [4]، وهذا الحب هو دافعها الوحيد للبقاء متماسكة بالرغم من صعوبة الواقع المعيش، وهذا الحب أيضا هو ما يجعلها تتحرر من القيود المفروضة عليها، ويجعلها تحلم في وطن أفضل ومستقبل آمن.

---

[1] – داود أنس :التجديد في شعر المهجر ،المنشأة الشعبية للنشر و التوزيع والإعلان ،ليبيا،ط2 ،1980،ص:171.

[2]–قادة عقاق:دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر(دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)،ص:267

[3] – نجاة عمار الهمالي:الصورة الرمزية في الشعر العربي الحديث (شعر خليفة التليسي نموذجا)،دار قباء الحديثة،القاهرة، (دط)، 2001، ص:336.

[4] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:33.

فقد تعددت ملامح الوطن وتنوعت رمزياته حسب الأحداث التي تعيشها الشخصيات، فهو يضيق حينًا و يتسع أحيانًا أخرى، فإمَّا أن يكون الأرض الذي لأجله يدافع الناس عن حقهم في الحياة والحرية،" **قدرك أن تكون من هذه الأوطان و لست من بقاع الأرض الأخرى التي من حق مواطنيها أن يحكوا عن أحلامهم فوق هذه الأرض** "[1] ، أو أنَّه يمثّل الذاكرة المشحونة بصور من الماضي الموجع، الذي يقلق مضجعه ،فيحاول التحرر من خلال رحلة تحررية صوفية وتعبدية تبعده "**سعيد الآن في رحلته إلى الله و عدالته السماوية, متحررا من خوفه و من هواجس مطاردته ومن حمى الذاكرة التي تحولت إلى قارة من جليد**"[2] وكذلك يمكن أن يكون التاريخ الذي يمثِّل مكانة الوطن و هيْبَته بين الأمم، فتستدعي الضرورة المبادرة نحو إنتاج قرار واقعي تفرضه المرحلة، ينبعث من روح جماعية تؤسس لتاريخها الخاص،" **نحن من سيصنع التاريخ لهذا الوطن اعتبارا من اليوم، تاريخ يليق به نُساهم جميعا في صناعته**"[3]، وتتجلى رمزية الوطن في مساق آخر من خلال تجسدها في هوية شعبها، فالمكان المتشبع بعمقه التاريخي ،والذي يحمل بين طياته تراثا يألفه الناس ويرجع إليه، هو الهوية التي لا يمكن أن يتخلَّى عنها الإنسان مهما طال الزمن، لأنه يرمز إلى الوطن،

" **كانت هوية وطن تتشكل ،ولم يبق أمام صانعيها غير اللمسة الأخيرة في هذا الفضاء كان يتشكل مجتمع جديد في مدينة بديلة، اجتمعت جهود روادها وساكبيها على محبة الوطن والحلم بمستقبل آخر له**"[4]، وفي ظل هالة المكان تتشكل الهوية وتمتد ناسجة خيوط توسعها، متغلغلة في الذاكرة الجمعية عن طريق حمولة المكان الثقافية وامتداداته التراثية والتاريخية.

الجدير بالذكر أنَّ عنصر الأرض هو العنصر الأساسي في الرواية لرمزيته و دلالته على الوطن، فمفهوم الأرض في الرواية "لم يكن ترابًا،مكانًا،مناخًا وأشجارًا ،كما لم يكن مفهوما تاريخيا،وجغرافيا فقط،بل كانت في الآن نفسه مفهوما رمزيا حركيا ينطوي على كل

[1] – المصدر نفسه،ص:36.

[2] – المصدر نفسه،ص:190.

[3] – رابح فيلالي:وعد الياسمين ،ص:239.

[4] – المصدر نفسه،ص:170.

الدلالات"[1].فالأرض ارتبطت ارتباطا وثيقا بمفهوم الوطن، والمكان الذي نشأ فيه الإنسان وتربّى، وكما قال ابن باديس:"من نواميس الخلق حبّ الذات للمحافظة على البقاء(...)فالإنسان منذ طفولته يحب بيته وأهل بيته، وما البيت إلّا الوطن الصغير فإذا تقدّم شيئًا ما في سنّه اتّسع حبّه وأخذت تتّسع بذلك دائرة وطنه..وإذا غذّي بالعلم الصحيح شعر بالحبّ لكل من يجد فيهم صورته الإنسانية، وكانت الأرض كلّها وطنًا له،وهذا هو موطنه الأكبر"[2].فمن هذا المنطلق يتكوّن مفهوم الوطن باعتباره الأرض التي يستقر فيها الإنسان ويتواصل معها، فيمدّ حولها وداخلها شبكة متواشجة من العلاقات والعواطف والحنين والذكريات، وكلّما اتّسع محيطه كبُر الوطن في عينيه وزادت صلته وعلاقته به، " **بقي في داخله جزء لم يستطع تدجينه، فتبين أنه الجزء الأهم ،إنه الجزء المعجون بتراب هذه الأرض** "[3]، أمّا دلالة التراب بهذا المقطع الروائي فهو يرمز إلى سيدي بوزيد أين نشأ سعيد،وهذا يبيّن لنا أقصى درجات حبّ الوطن والتمسّك بتربته وأرضه.

أثرى رابح فيلالي روايته بالدلالات الرمزية حول الوطن باعتباره المحرّك الفعّال في كل الأحداث ،وقد تجلّى هذا الرمز في الأرض ،فالأرض هي"الأساس الوحيد للإحساس بالانتماء الفكري والأيديولوجي في الزمان والمكان،لذلك تحوّلت دلالة الأرض لتصبح موضوعا للرؤية تستلهم المادة الأدبية جوهرها منها"[4]،ولذا جسّد الروائي صورة الوطن في الأرض و تعلّق الشخصيات بها.

و صورة الأرض تمثّلت في شقّين :

الشقّ الأول تجلّى بعلاقة سعيد ووعد وياسمين بوطنهم وكلّ من يحبّ تونس الأرض وتونس الوطن، فهُم يسعون بكلِّ جهدهم في تحقيق حلمهم من خلال السعي في مستقبل الوطن وحريته،والتعبير عن مدى تعلّقه بالأرض وانتماءهم إليها.

---

[1] –حيدر توفيق بيضون:محمود درويش شاعر الأرض المحتلَّة،دار الكتب العلمية،بيروت–لبنان،ط1، 1991،ص:55.

[4]–عبد الحميد بن باديس:خطب ومقالات،جمعها محمد الطاهر فضلاء،تحت عنوان الشيخ عبد الحميد بن باديس،مطبعة البعث، قسنطينة–الجزائر،1968،ص:87

[3] –رابح فيلالي :وعد الياسمين،ص:136.

[4] –عبد القادر شرشار:خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي–الصهيوني(دراسة تحليلية)،مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أكتوبر 2005،ص:163.

أمّا الشقّ الثاني فيبرز في حاكم القصر ورجاله الذين يسعون لتدمير الوطن من خلال نهب ثروات الأرض واستغلالها لصالح أطماعهم الشخصية على حساب سكان تونس الذي يقبع في وسط الظلم والفقر والحرمان.

فكلّ شخصية من شخصيات الرواية تعبّر عن مدى إدراكها لقيمة الوطن من خلال علاقتها بالأرض، فمنهم من استغلّ سلطته و سطوته لسرقة ونهب ثروات الأرض، ومنهم من دفع حياته ثمنا من أجل الأرض وحريتها،" **يجب أن يكون الوطن هو المكان الأفضل لحياتنا و حياة أبنائنا أرضه هبة السماء لنا ،لذلك علينا الانطلاق من هذه الحقيقة ،من أجل أن تزهر هذه الأرض ربيعا سمو إلى مقامات أحلامنا ،و أحلام سعيد الذي مات ورفاقه من أجلها**"[1]..فقد كان للمكان في الرواية أهمية بارزة،"ولا ريب في أنَّ للمكان أثرًا في التعبير عن هوية الكاتب الروائي والشخوص.فالحياة الإنسانية خلاصة الظروف والبيئة المحيطة،والتاريخ،والعادات والتقاليد، والأعراف. ونتيجة ذلك نجد الكثير من الكتَّاب يحاولون من خلال المكان التعبير عن تمسّكهم بهويتهم،ولاسيما إذا كانوا ممّن يعانون أصلاً بسبب تلك الهوية، كأن يكونوا مقيمين بصورة قسْرية،أو اختيارية،خارج المكان الذي عرفوه، وألفوه وأحبّوه فتراهم دائمي الحنين"[2].وهذا ما كان عليه الروائي رابح فيلالي الجزائري الأصل الذي ينحدر من مدينة قسنطينة لكنّه مغترب بالولايات المتّحدة الأمريكية ،فهو في كل رواياته يتحدث عن معنى خفي هو وطنه الجزائر،وشوقه لمدينة طفولته قسنطينة ففي حوار له يقول:" قسنطينة هي هذه المعاني التي سكنتنا حتى ولو سكنَّا أطراف العالم المختلفة، ولكن المعنى الوحيد الذي يسكننا هو المعنى الذي تقوله قسنطينة، هو معنى خالد بدواخلنا يتكرر معنا في كل الأمكنة وفي كل الأزمنة، قسنطينة هي أمّي وأمّك وكل هذه القيم النبيلة التي درجنا عليها في هذه السّاحات وفي هذه المسارات وفي هذه الأزقة(...)لذلك فإنّ قسنطينة هي المدينة الوحيدة التي لا يمكن بأي شكل من الأشكال، أن تغيب عن ما أكتب أو تغيب عن ما أقول، أو أن تغيب عن ما أتحدث فيه في أي مكان من العالم"[3]

---

[1] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:245.

[2] –إبراهيم خليل :بنية النص الروائي،منشورات الاختلاف،ط1،الجزائر،2010،ص:141.

[3] –فاروق طوالبية:حوار مع الروائي رابح فيلالي بسبب صدور روايته"وعد الياسمين"،نشر في مجلة أوتار الالكترونية ،واشنطن،14–12–2012.

فإحساس الروائي بالغربة جعله يجسّد ذلك بكتاباته وهذا ما يتمثل في الرواية من خلال إبرازه لقيمة الوطن ،وقيمة الأرض،فنجد سعيد يحب وطنه رغم الظروف القاسية التي مرَّ بها، فهو يجد كل شيئ جميل في وطنه إلاَّ حاكم القصر ومن يحيطون به،"**كل شيئ جميل هنا في هذه الأرض ما عدا القصر و كل ما يرمز لقوة سلطانه في أطراف المدينة**"[1]،ممّا يعطي للقصر أبعاد رمزية تدور كلّها في فلك الشخصية السلطوية,"فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ومن جانب آخر فإنَّ حياة الشخصية تفسّرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها"[2].ويستمر استخدام الروائي للرمز، فهو يرمز إلى الوطن بالأرض التي يعيش فيها سعيد ويحلم بأرض أكثر اخضرارا وجمالاً، أرض لا يطالها حاكم القصر ولا رجاله،"سيكون لنا شأن مختلف ونحن نتحدث إلى الضفة الأخرى من البحر ونحن سادة أحلامنا ،نعد أنفسنا على شطآنه بأن ترابنا سيكون أكثر اخضرارا و بحارنا ستكون أكثر زرقة و نحن نؤمن أكثر بيقيننا الأزلي بأنها خلقت لنا و خلقنا لنجعل منها أجمل الجنات في الكون و أروع الألحان التي عزفتها السماء و هي تحيلنا إلى الأرض انتماءً و عنواناً"[3]، فهو يرى أنَّ الوطن يتجلّى في ملح الأرض، ونسيم البحر، وزرقة العصافير وشحاريرها يتنسّمها أينما حلَّ أو ارتحل، فهو سيدٌ في حلمه وفضاءه، يحلم بالغد السعيد المخضب بالحب والطيبة والعنفوان، حبّ الأرض له نكهة معيّنة، فسعيد يعتبر أن طعم الأرض وشرابها يغنيه عن كل الدنيا.

الوطن هو سمفونية عذبة يتغنّى على شذاها المحبّون،وترابه يخضرّ بالحبّ السرمدي والعشق الأبدي، كالعابد في محرابه ،والأرض هي " إدراك الشخصية الروائية العميق لمعنى الوطن و الذي يحوّل الأحاسيس إلى وعي و يجعل من الوعي بالفضاء مادة حياة بالفعل والدينامية و الانتماء للتاريخ"[4]،لأنَّ الأرض هي نحن،ونحن نمثل الأرض،نتنفّس هواءها العطر ،ونستنشق رائحتها الطيّبة، أمنيتنا في الكون أن نجعلها أروع الأماكن وأحلى الجنّات فهي انتماءنا .

---

[1] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:94.

[2] –سيزا قاسم:بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ،الهيئة العامّة للكتاب،القاهرة،1984،ص: 84.

[3] –المصدر نفسه،ص:258.

[4] –حسين نجمي:شعرية الفضاء، المتخيل و الهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي،ط1 ،2000،ص:39.

المدينة:

المدينة أصبحت في الرواية بمثابة نص، تقرأ المدينة فيتيح لك قراءة الإنسان ،ف"تنبثق المدينة الرّمز الذي تُجسّد بصماتها معنًى شاملًا يوحي في بعض الأحيان إلى الحياة ذاتها"[1].فهي تجسّد صراع الشخصيات في الحياة الواقعية، وقد تكون المدينة أحيانا كحلٍّ للشخصية للهروب من الواقع، مثلما نجد وعد بطلة الرواية تحاول الهرب من واقعها إلى الحلم بمدينة تليق بها و بأهلها في سيدي بوزيد، مدينة بمقومات أفضل،" **وجدت نفسها مأخوذة إلى العالم الافتراضي الذي يؤسس لمدينة أخرى،مدينة فاضلة بمقومات العصر دائمة التشكل و الاتساع في فضاء افتراضي تتسع للجميع**"[2].هذه هي المدينة التي تمنتها وعد وتتمنّاها دوما،فتصبح المدينة ليست فقط المكان بل الرمز الذي يحمل معنيين متناقضين،باعتبارها المكان الأوحد الذي يحتضن الإنسانية بكلِّ تناقضاتها،بحبّها، ومقتها حياتها وموتها، فهي موطن الألفة والجمال،كما أنها موطن القبح والبؤس،لذا فهي مرّة كمرارة الواقع الذي يعيشه سكان المدينة ،وجميلة في أحلامهم.

تعدّ المدينة عنصرًا مهمًّا في حياة أيّ شخص على وجه هذه الأرض لما تحمله من تعريف له وتبيان لانتمائه،ف"المدينة هي مسكن الإنسان الطبيعي،وهي المكان الإنساني الأفضل المبني لسعادته،شأنها في ذلك شأن كلّ تجمع بشري كالقرية أو البادية في أوّل الأمر"[3]،فقد احتلت المدينة مكانا مرموقا في الأدب المعاصر،على المستوى العربي والعالمي ،سواءً أكان الجنس الأدبي شعرًا أم نثرًا "والمدينة بوصفها ظاهرة مكانية خاضعة للتطور الزمني وذات وظائف حياتية مسطرة قبليا، ركَّز عليها الأدب المعاصر وشحنها برموز وأبعاد ودلالات مختلفة، لتصبح ذات دلالة فكرية ومعقّدة نسبيًا"[4].إنَّ المكان بهذا المعنى هو كتابة يجب قراءتها بما يناسبها من عمق ودلالة لمعرفة رمزياتها،وما توحي إليه،" **شاهدنا الوحيد في مدينة كانت عالمنا المشترك تحت سطوة المسافات و قهر الأمكنة التي تفصل بيننا**"[5]

---

[1] –محمود الربيعي:الشاعر والمدينة،مجلة عالم الفكر،الكويت،مج88،ع11، 1988،ص: 133.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين ،ص:173.

[3] –قادة عقاق:دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر،ص:22.

[4] – المصدر نفسه ،ص:23.

[5] – رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:47.

وهكذا يعمل المكان كحلٍّ "للمبدع حين يريد الهروب أو حين يعمد إلى عالم غريب عن واقعه،ليسقط في رؤاه التي يخشى معالجتها،وهنا يتحوّل المكان إلى رمز وقناع يخفي المباشَرة،ويسمح للفكر المبدع أن يتسرّب من خلاله"[1]، وهذا عندما يحاول المبدع أن يعالج قضايا تمسّ الواقع الاجتماعي أو السياسي،مثلما هو الحال في رواية وعد الياسمين، فالقضية التي يحاول رابح فيلالي هي قضية الشعوب المضطهدة في وطن يحكمه رجل ظالم مستبد فرواية **وعد الياسمين** ترصد أحداث الثورة التونسية، وهي عبارة عن قراءة متأمّلة للثورات العربية ورؤية لحالة التحوّل في المجتمعات العربية ومدى قدرة هذه الثورات على الذهاب بشعوبها إلى المستقبل بصورة أكثر أمنا وأكثر استقرارا.

لذا فقد كان للمدينة وجهان اجتماعي وسياسي،والصلة بين الوجهين قوية والارتباط بينهما وثيق، فقد كان الوطن تحت سلطة الحاكم فهو من يفرض القوانين ويطبّقها كيف شاء ومتى أراد، فقد ضيَّق النطاق على الشعب وأفقده حق حرية التعبير عن مطالبه في الحياة، لذا فقد كان الشعب من الطبقة المحرومة الكادحة التي همّها الوحيد الحرية،أمَّا الطبقة الأخرى فتتمثَّل في أصحاب السلطة والنفوذ من رجال حاكم القصر وأعوانه وهذه الطبقة هي التي تمتلك حق الحياة الرغيدة والعيشة الهنية، وممَّا لاشكَّ فيه أنَّ الواقع السياسي هو من أحدث هذا التشقق في المجتمع وانقسامه.

وقد استعان الكاتب بالنموذج التونسي ليشير إلى الثورات العربية التي نجحت في إسقاط الأنظمة الديكتاتورية، وراح ليتّخذه محوراً بارزا في سرد أحداث الرواية، ففي الرواية شخصيات كانت تستعد للثورة، عملت سرا وكانت تحلم بالتغيير الذي حصل.

إنَّ علاقة الإنسان بالمدينة هي علاقة ترابط بحكم أنَّ المدينة هي" ظاهرة جغرافية، لأنَّها تشغل حيّزا من سطح الأرض،كما أنَّ حادثة تاريخية لها بداية وقد تكون لها نهاية، وكذلك المدينة مركب اجتماعي وحضاري لأنَّها مستعمرة بشرية،كان لـيَدِ الإنسان دخْلٌ في نشأتها وتطورها أو ذبولها في بعض الأحيان"[2].لذا فقد احتلَّت المدينة وضعًا خاصًّا في الرواية ارتبط من حيث الدلالة بمعاني الحزن والألم وفقد الثقة بالمكان،وقد ارتسمت هذه الصورة في ذهن سكّان مدينة سيدي بوزيد بعدما استولى حاكم القصر عليها واستعبد أفرادها،"**أرغب في**

[1] –مدحت الجيار:جماليات المكان في مسرح عبد الصبور،مجلة ألف،ع6، 1986،ص: 28.

[2] –عبد الرحمان الحلاي:تاريخ المدن الثلاث(الجزائر،المدية،مليانة)بمناسبة عيدها الألفي،الجزائر،ط2، 1972،ص: 89.

الذهاب إلى تلك المدينة و أكره أن أعود إليها، هي بالنسبة إليَّ عنوان الأحلام المغتالة بإرادات عليا، و إهانة الإنسان في زاوية لا يصلها الضوء إلَّا من خلال ثقب الباب الذي سمح له رجل القصر و من يحيطون به"[1]، لأنَّ المدينة استولى عليها خفافيش الظلام الذين يرتعون في أرضها القهر والظلم والاستنكاف،فهي الحلم المغتال من أصحاب القامات والهامات الذين يعيشون في الأرض فسادً،فهم لم يدّخروا جهدًا في إهانة الإنسان، لأنّه مكمن الداء والدواء،ولأنَّ الخفافيش لا تظهر إلّا في الظلام فهم يحاولون جاهدين على ألّا يصل النور إلى المدينة، فالنور يكشفهم على حقيقتهم و يعرّيهم تماما، ويظهِر جرائمهم ولهذا لن يتركوا أحدًا يراها إلّا من زاوية ضيقة أو من ثقب الباب.

ارتبطت مدينة سيدي بوزيد بقضية سعيد الذي ضحّى بنفسه من أجل الوطن، فإنَّ هيمنة المدينة في الرواية هي رمز للوطن بأكمله،" **إنها المدينة التي أبقت شموعها متقدة ثلاثين يوما منذورة لسعيد،تثير جلسات ساكنيها المنشغلين بقضيته**"[2]، ولأنَّ الشموع رمز للضياء والنور الساطع مثّل الروائي صبر المدينة أو الوطن ثلاثين سنة وكأنها كانت تتأهّب ليوم كذلك اليوم الذي فقدت فيه سعيد،بالرغم من أنّه يوم حزين بفقدانه إلاَّ أنّه يوم يحمل الكثير من الوعود والآمال ببزوغ فجر جديد وبداية حياة سعيدة.

إنَّ التمرّد على المدينة يصبح حاصلاً،وتبرز عدّة أصوات منها تلك التي طحنتها المآسي والظروف القاسية وعانت مرارة الواقع السياسي،والتي ترغب في تغيير هذا الواقع،"نحن شركاء في هذا الحلم الذي صنعناه معًا في غفلة من المدينة،نريد لهذا الحلم أن يولد وأن يعيش ويصنع تاريخا"[3]تحمل المدينة في هذا المقطع رمزا آخر غير الذي كانت ترمز إليه فهي هنا ترمز إلى حاكم القصر و رجاله الذين يرصدون كل شاردة وواردة تصدر عن أهالي المدينة،لذا تحوّلت المدينة رمزا لهم لأنّهم احتكروها لأنفسهم وتحقيق مطامعهم.

لقد غدت نظرة وعد إلى مستقبل مدينتها_على الرَّغم من مأساوية الواقع_متفائلة ومضت تحاول إصلاح ما تحطَّم من هذا الواقع،وتخفّف من حدَّة مرارته،واقتنعت بأنَّه لا مجال للتراجع في سبيل تحقيق الحلم، " **هذه هي المدينة الحقيقية التي اقتنعت أخيرا وعد بأنَّها لن**

---

[1] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:23.

[2] –المصدر نفسه،ص:173.

[3] – المصدر نفسه،ص:47.

تستطيع بعد اليوم الإقامة خارج أسوارها، دخلتها و أعلنت انتماءها إليها، وصارت تمارس هذا الانتماء باجتهاد دؤوب"[1]، ولأن تونس مدينة أصيلة ومن معدن ثمين أقنعت الصغار والكبار، والنساء والرجال، وطوّعتهم لإرادتها الفولاذية الصلبة التي لا تلين، ولهذا اكتشفت وعد بأنَّ حبّها لمدينتها باقٍ دائما وأبدًا ،فالمدينة هي الأصل ووعد الفرع، لذا فهي تعتبر جزء لا يتجزّأ من مدينتها.

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ المدينة هي رمز للوطن،فالمدينة ليست وعاءً يشمل مفردات المكان فقط، بل هو ثنائيات متآلفة ومتخالفة أيضًا، إنَّه الحبّ للوطن والتضحية من أجله،وهو المقت للواقع الذي أردى الوطن جريحا في يد السلطة،إنَّه الحياة وجمالياتها، وهو أيضًا الموت ومرجعياته،يمثّل القوة والضعف معًا، إنَّه الغربة والتغرّب،كما أنَّه الارتباط بالوطن والانتماء إليه.

تونس:

عرفت تونس بتونس الخضراء لما تملكه من طبيعة ساحرة خلابة،فهي خضراء بمساحاتها،بشوارعها ومنازلها،وأهاليها الطيبين،ولأنّ تونس تملك أكبر قاعدة من أشجار الزيتون فقد ارتبط الزيتون بها،"**هذه أول مرة أزور فيها البلد الذي اختار لنفسه من بين كل الألوان الأخضر ،أعرف أنَّ شجرة الزيتون علامة تجارية مسجلة باسم تونس وبامتياز**"[2]،ولأنَّ شجرة الزيتون تنبت بين الجبال الشامخات والصخور الكبيرة،فهي رمز الثبات والشموخ ورمز للرأس الذي لا ينحني إلاَّ لله، وبهذا تشبه تونس في شموخها وعنفوانها فبالرغم من العواصف والظروف القاسية لم تنحني تونس للظلم وقاومت بشدّة كل من يتطاول عليها ويريد تدميرها،فقد علّمت تونس العالم أجمع أنَّ غصن الزيتون سينبت زرعا وينمو ضرعًا ويكبر من جديد ذلك الحلم الجميل لتحيا تونس حرة مستقلة،لذا كان على شجرة الزيتون أن تكون هي الرمز وبامتياز على وطن جميل يسمّى تونس الخضراء." **كان حريص التذكير لأولاده دوما أنَّ تونس هبة الله لكلِّ التوانسة و أنَّ واجب هؤلاء الخالد أن يحافظوا عليها خضراء أبدًا**"[3]، لقد خلقت تونس لتحيا، ولأنَّها المكان والزمان والتاريخ والجغرافية حباها الله

[1] –المصدر نفسه،ص:173.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:29.

[3] –المصدر نفسه،ص:93.

بأناس يعشقونها حد الثمالة، ويرتشفون كل يوم رحيق الحرية والسعادة، من عاش الظلم يحافظ على العدل، ومن عاش حياة الفقر يحافظ على زمن الغنى، ولذا وجب على أبنائها أن يحافظوا عليها في كلّ لحظة من لحظات حياتهم.

لقد أضفى الرَّمز على لغة الرواية مسحة من العمق والشفافية والإيحاء،فقد قدّم الروائي نصًّا روائيًا ممتعًا ومغذيًا للذوق، وللحس الجمالي، فبفضل الرَّمز وما يضفي من دلالة وإيماء جعل النصَّ رحب الخيال وواسع الأفق بالنسبة للقارئ، فكما يقال أنَّ الكاتب الجيد هو من يرغم القارئ على قلب الصفحة ،وهذا ما عمد إليه الكاتب من خلال استخدامه للرّمز ،ومنها هذا المقطع الروائي،" **أنا المتخصصة بأشعار محمود درويش ،اخترت أن أكتب عن حلمي في الوطن كما رسمه في قصائده، وأعلنت عاشقة لفلسطين، لكني كنت أضمر عشقي الأسطوري لتونس، تظاهرت في كل شوارع العاصمة تونس تأييدا للقضية الفلسطينيـة لكني في حقيقتي كنت أتظاهر حالمة بحقي في حرية التعبير**"[1]، هناك مقارنة جسدها الكاتب بين تونس الوطن وفلسطين الوطن، فلسطين هي هبة الله من السماء ضد الغاصبين ستبقى ملهمة لكل الشعوب في الصمود والثورات المتتالية، ولأنّ فلسطين بلد الحب لابد أن ينكسر الشرّ على عتباتها،فهي قصيدة متحركة وهي كتاب مفتوح لكل الشعوب الحرّة التي تنشد السلام والخير،فقد قال فيها محمود درويش:"مكاني حيفا،أنا مزروع فيها ومصلوب أبدي على خشبتها وأنا باقٍ هناك، باقٍ في حيفا في موقعي الصغير..ولن أخرج من حيفا إلاَّ إذا سدّوا كل الثغرات التي أتنفس منها"[2]، ولأنَّ تونس قريبة من فلسطين كوطن عانى من حزن قاتل عاشته، ومن ظالم اغتصب أرضها لسنوات طوالٍ،كان لابدّ لتونس أن تكون المتعلّمة لمعاني الحرية من وطن أراد الحرية ومازال يكافح لنيلها، فهي الفضاء الواسع للحيارى والثكالى واليتامى والمظلومين، فوعد في مسيرة للقضية الفلسطينية نجدها تفكر في مصير بلدها تونس الذي لم يكن أحسن حالًا من فلسطين،فهما متشابهتان في السحنات والدماء النقية الطاهرة ،ولأنَّ الحرية لا تعطى فكانت الانتفاضة من أجل حرية التعبير.وكما قال نزار قباني :"الوطن مرسوم في كل فاصلة،في كل رشة حبر يتركها أديب على الورق..رائحة الوطن هي رائحة مدادنا..وشواطئه وجباله وأقماره، ونجومه"، فالوطن تونس كانت الشغل

[1] – المصدر نفسه ،ص:33.

[2] –تهاني شاكر:محمود درويش ناثرًا،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1، 2001،ص:52-53.

الشاغل لأبنائها الذين لم يتوانوا لحظة في سبيل بقائها خضراء أبدا،" **يكون عنوانا لميلاد جيل جديد من أبناء تونس يدخل بالوطن إلى ألفية الثالثة من أوسع أبوابها**"[1]، ولأنَّ أبناء تونس يستحقون الحياة الكريمة بعدما عاشوا دهرًا من الزمن في رعونة الحاكم وظلمه، ولأنَّ الميلاد لن يكون إلاَّ بعد مخاض عسير ولدت تونس كأنَّها لم تولد قبل، وهي تدخل حياة جديدة مِلأها الأمل والأمان.

إنَّ المكان الذي تقوم الرواية على تصويره له تفرُّده الخاص، وله طبيعته الخاصة وواقعيته،إلاّ أنَّ المكان الذي يصفه الكاتب في هذه المقطع أكثر دلالة وإيحاءً على تأزم الأوضاع بتونس،"**تونس الخضراء لم تعد خضراء، تلوّنت بالأحمر،كلها مفتوحة على الموت، الموت سيد الموقف**"[2]، لقد اختارت تونس الطريق الشائك الصعب،لأنها قدّمت تضحية بدماء زكية من أجل الحرية، فكان الموت بهدف وعن مقصدية كانت تونس الخضراء وهي التي قال عنها نزار قباني يومًا: يا تونس الخضراء جئتكِ عاشقًا، وعلى جبيني وردة وكتاب.فقد زفّت تونس موتاها إلى حتفهم الأخير مادام الظلاّم أرادوا لها ذلك، فها هي مخضّبة بالدماء التي تسيل كشلال كل لحظة من لحظاتها البائسة، لتصبح بعد ذلك كلها تونس سيدة بلون أخضر يشعّ جمالا وينبض قلبها بالحياة ،فقد كانت حرية الوطن غالية دفع ثمنها أبنائها، "**لماذا يا تونس قطَّعت أوصال أحلام سعيد؟ لماذا أيها الوطن حقنته بحبك وعذاباتك بالمحقن نفسه، فأشعلت نار الغيرة عليك، و دفعته لإشعال جسده ليصرخ في وجه الشر أريد رحمة لوطني؟**"[3]، لطالما رفض سعيد الضيم والقهر الذي يعيشه، فقد كان يعتبر أن الكرامة لا مساومة فيها، وأنَّ الإهانة لابدَّ لها من مخرج، فكان أن أشعل جسده تعبيرا على رفضه في وجه الطواغيت الظلمة، وفي وجه فراعين العصر، فهو بذلك يقول لهم أنَّ جسدي وروحي وكلُّ ما أملك هو فداء للوطن، ولابدّ للقيد أن ينكسر.

"**فكرت وعد طويلا و أخذ الأمر من ليلها الكثير قبل أن تقرر أن يكون شعارها الانتخابي "وعد الياسمين" وهي التسمية التي ترى أنها تختزل كل المعاني التي كافحت هي شخصيا**

[1] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:91.

[2] –المصدر نفسه،ص:217.

[3] –المصدر نفسه،ص:210.

لتحقيقها"[1]، ولأنَّ النصر لن يكون إلاَّ بعد الليالي الدامية، ولأنَّ المسالك الحرّة لابد لها من ضريبة، فكان (وعد الياسمين)هو أحد الحلقات المتصلة ببعضها البعض، ووعد الياسمين هي التسمية التي ستكون عليها تونس الغد، بعدما كانت الأشلاء والدماء تتناثر في كلّ ربوعها في عهد الحاكم الظالم، ستعود الطيور المغرّدة تشدو من جديد لتشمَّ عطرا جديدا فواحا." **هذه تونس حرة..ما أجمل أحلامنا القادمة من ليال لم تعتد عليها، أحلامنا ستأتي تخفق بأجنحتها، تصفق، تتقلب في فضاء رغباتنا كما تحلو لها**"[2]،فهي تونس التي عششت فيها العناكب طويلا ،أصبحت الآن حرة طليقة بعدما كان الظلم يكبِّلها من كل جانب أصبحت حرة تحلم بغد مشرق،يقرع الطبل فرحا وتلبس شوارعها وأزقتها اللون الأخضر كما كانت من قبل، فتونس قطعة ربانية لابد لها أن تعيش.

فالوطن هو تونس و" **هو وطن الناس الذين غيَّروا الواقع و يسعون في رسم التاريخ الجديد لتونس، هذه هي الروح الحرة التي وحدها ستكون ضامن المستقبل**"[3]،بما أن سعيد كان شرارة الثورة على الواقع وبداية لتحقيق الحلم في تغييره،فقد أصبحت تونس حرة بفضل تضحيته.

[1] –المصدر نفسه،ص:253.

[2] – المصدر نفسه ،ص:227.

[3] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:254.

الفصل الثاني

المبحث الأول: تمظهر الرمز على مستوى العتبات

لكي نسبر أغوار النّص و كشف تجلّيات الوطن في رواية "وعد الياسمين"، لابدّ أن نضع أقدامنا الثّابتة على مدخل النّصوص و عتباتها وفق الطّروحات التي قدمها النّاقد الفرنسي جيرار جنيت للعتبات النّصيّة (seuils) التي يندرج تحتها الغلاف الخارجي للرواية والعنوان والإهداء ؛حيث يشكّل كلّ منهم نصًّا مجاورا وموازيًا للنّص الروائي.

الغلاف الخارجي:

لقد اهتمّت الدراسات الحديثة للرواية بالغلاف الخارجي أيّما اهتمام، فاعتبرته عنصرًا هامًّا من عناصر الرواية، مثله مثل النص الروائي، لذلك أولت عناية خاصة حتى يكون بمثابة المرآة العاكسة للمتن، فصورة الغلاف"إضافةً إلى كونها وسيلة من وسائل الإشهار وجذب القرّاء عن طريق الألوان، والتعابير، تعطينا _ولو نظرة موجزة_حول النصّ"[1]، إنَّ غلاف الرواية يضم عناصر أيقونية متعددة مثل اسم المؤلف وجنس الكتابة(الرواية)،اسم الهيئة الناشرة.

ولعلَّ الشيء اللَّافت للانتباه في الغلاف الخارجي للرواية هو صورة الروائي رابح فيلالي يتصدّر الرواية جالسًا ومتأنّقًا ببذلة رمادية وربطة عنق يميل لونها إلى الأزرق مشوبًا بالسواد، ونظرة جادّة وابتسامة ديبلوماسية، وتعلو الصورة اسم الرواية بخط أبيض بارز .وقد وضع اسم الرواية عاليا وكأنَّها تترأس الصفحة، تأكيدًا على الكتابة المدوّنة داخله،وبجانبها كتب اسم الروائي رابح فيلالي باللون الأبيض.

والجليّ في الغلاف هو تلك الدكنة السوداء التي عتّمت المكان وميّزت الغلاف الأمامي في الرواية،ممّا جعله يوحي بعدّة أمور منها:الحزن، العزلة والألم والكآبة،وهذا اللون لم يأت اعتباطًا، بل هو يعبّر عن مواقف وحالات نفسية كالخوف والغموض، وقد عزّز هذا الرؤية الضبابية التي تنطبق على أحداث الرواية.

أمَّا ظهر الكتاب فقد ركّز الروائي فيه على مقطع من الرواية ويقول فيه:" **أرجوكم احملوه برفق،لقد حملته في بطني تسعة شهور برفق الأرض والسماء،أرضعته حولين كاملين،حملته على ظهري عمرًا، سهرت على حدود غفوته،وسّدوه رحمة التراب،وحدها**

[1]–قدور عبد الله ثاني:سيميائية الصورة،مغامرة سيميائية في أشهر الإرسالات البصرية في العالم،دار الغرب للنشر والتوزيع،2005، ص:134.

الأرض ستكون حنونًا عليه مثل حضني، (...)تلقي في وجهها حطام أحلام حلمتها في يوم مضى، وهي تنذر وقتها وصحّتها لماكينة تواطأت معها على تطريز أحلامها جهازًا لعرسه، حلمت على إيقاع درزاتها بأولاده الذين سيملئون حياتها فرحًا، حتى ينسوها كل ما شاكسها به الدهر قبلها".وقد ركّز هذا المقطع على لغة الأمّ التي هي مصدر الحياة ومنبعها، لما تحتويه هذه اللغة الجميلة من تشكيل للذّات الإنسانية، فهي منطلق الأفراح ومخزن الآلام، وهذا ما يتوافق مع النصّ الروائي.

فغلاف الرواية له علاقة وطيدة بالنصّ، فقد ألمَّ بالمتن وجاء اختصارًا له،سواءً من حيث اللون أو الصورة، ومنه نجزم بأنَّ مصمم الغلاف استطاع أن يربط ذهن المتلقّي لمحتوى الرواية من خلال الغلاف، ومن جهة أخرى نجد أنّ اللوحة المرسومة تجسيد مطابق للعنوان،فهي ترجمة حرفية له.

ويأتي اهتمام البحث بهذه النّصوص الموازيّة: العنوان و الإهداء على وجه التحديد كروافد منهجيّة، نحاول من خلالها مقاربة النّص والكشف عمَّا يرمز إلى الوطن من خلال دلالات خفية.

العنوان:

من المهمّ أن نقف عند العنوان بوصفه مفتاح الرواية الأساسي،الذي نلج بواسطته عالمها المتخيّل، إذ يعتبر سمة " تضيء غوامضه وتفك رموزه وتعيد توزيع عناصره"[1]، فهو يجسّد "سلطة النّص وواجهته الإعلاميّة "[2]، و واحد من النّصوص الموازيةّ، و أولى العتبات التي نطؤها قبل الولوج إلى فضاء النّص الدّاخلي، يرد في شكل نص صغير" يختزل نصًّا كبيرًا عبر التّكثيف و التّرميز و التّلخيص "[3]،و ليس غريبا أن نبدأ هذه المقاربة بالعنوان الارتكاز عليه فهو يعدّ العنصر الأوّل الذي يظهر على واجهة الكتاب كإعلان إشهاري محفّز للقراءة.

وقد لاحظتُ أثناء قراءتي الأولى لرواية "**وعد الياسمين**" بأنّه عنوان يتمتّع بحضور دائم في أغوار النص من حيث قدرته على إثارة التّساؤلات سعيا لتحصيل دلالته "باعتباره مفتاحا

[1] –محمد فكري جزار:العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي،الهيئة المصرية العامّة للكتاب ،(د ط)،1998،ص:118.

[2] – جميل حمداوي: لماذا النص الموازي؟،مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية فلسطين باريس، ع88، 2006،ص:220.

[3] – شعيب حليفي: النص الموازي و استراتيجية العنوان ، مجلة الكرمل ، قبرص ،ع46، 1992،ص:23.

أساسيًّا يتسلّح به المحلّل للولوج إلى أغوار النّص العميقة،قصد استنطاقها وتأويلها "[1]، وهكذا يغدو العنوان سؤالًا إشكاليًّا ينتظر حلّا ،و النص الروائي بمثابة إجابة عن هذا السّؤال الإشكال.

يستدعي النص عنوانه الغائب ليوضّح به الحاضر، فنجده ماثلًا فيه، يلعب دورًا بارزًا في تشكيل معناه وإيضاح دلالاته.

والمؤكّد أنّ العنوان يبقى يستفزّ القارئ الذي يتحول إلى مبدع ومنتج ثان للنّص، وإذا يحقّق لهذا المنتَج الانفتاح على أكثر من قراءة، فالمتلقيّ مطالب بملء فراغات وتوقّع ما يأتي في النص الأمر الذي ساهم في تشكيل أفق رؤيا وانتظار للقارئ والقراءة، والرّمز هو أحد هذه الأساليب ويبدو أنّ الاتّجاه إليه يعدّ حاجة فنّية ملحّة، لإضافة لمسة من الجمال و الإيحاء في النص الروائي.

إذا ألقينا نظرة على البناء النحوي لجملة عنوان الرواية **(وعد الياسمين)**،يختزل عنوان الرواية إلى مفردتين هما **(وعد)** التي جاءت خبرًا لمبتدأ محذوف ، متبوعة بكلمة **(الياسمين)** والتي هي مضاف إليه.

أي أنَّ العنوان ورد تركيبًا إضافيًا ،يتلقى خلاله القارئ أوَّل دفعة شعورية، فقد جاءت كلمة (وعد) اللفظة النكرة التي لا تشير إلى شيء محدّد ،ثمّ عرّفت بالإضافة، فوردت كلمة أخرى وهي **(الياسمين)** التي جيء بها لتنوب عن (أل) التعريف التي حذفت من الاسم الذي أضيفت إليه، لتفيد الاختصاص والتحديد الدقيق ليكمل البناء وتتمَّ الدلالة التي يرمي إليها الروائي.

ولقد ورد العنوان في جملة اسمية ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى قول سيبويه:"اعلم أنَّ بعض الكلام أثقل من بعض،فالأفعال أثقل من الأسماء،لأنَّ الأسماء هي الأولي ،وهي أشدّ تمكنًا (..) ألا ترى أنَّ الفعل لابدَّ له من الاسم، وإلَّا لم يكن كلامًا، والاسم قد يستغني عن الفعل" [2].فالروائي إذن ارتضى أن يكون العنوان على هذه الشاكلة ،وبهذه الصورة التركيبية لقوّة الدلالة الاسمية من ناحية، ولأنَّها أشدّ تمكنًا وأخفّ في الذوق السليم من الدلالة الفعلية من ناحية أخرى.

---

[1] – جميل حمداوي : السيميوطيقا و العنونة ، مجلة عالم الفكر ،ع 03 ، يناير 1997، ص :9.

[2] – سيبويه:الكتاب، تح:عبد السلام هارون،هيئة الكتاب،مصر،ط1، 1975،مج1،ص:21.

تكوّنت بنية العنوان من جملة اسمية تدل على الثبات والسكون، وفي ذلك دلالة على تعلّق الشعوب بأوطانها وثبوتها على العيش في أرضه مهما زادت المحن وتأزّمت الأوضاع فيه.

وقد جاء العنوان"وعد الياسمين" مستقى من أسماء شخصيات رئيسية في الرواية، وفي ذلك دلالة على أهمية الفرد في المجتمع، وفي ذلك رسالة مشفّرة أراد الكاتب إيصالها للقارئ من خلال أنَّ الوطن لا يبنى إلَّا إذا تكاتف الشعب وتلاحم لتوحيده وإعادة بناءه، فالتغيير لا يكون من العدم،كما لا يمكن أن يكون فرديًا ،بل يكون بالترابط والاتحاد والتضحية في سبيل مستقبل أفضل للوطن.

لا تأتي العناوين بطريقة عشوائية أو خارجة عن إرادة الأديب، بل يكون اختيارها بشكل متعمّد ومقصود، ووفق عملية فنية منظمة، ودالة على مضمون العمل الروائي،وما يحتويه من أفكار، وإن كان العنوان غير متوافق ومتناغم مع مضمون الرواية، وفكرتها المحورية فإنَّه يفقد الكثير من قيمه الإيحائية والدلالية والفنية.

وكثيرًا ما يعمد الروائيون إلى اختيار عناوين رمزية بعيدة عن التصريح والمكاشف لرواياتهم، ولما يحويه الرمز من دلالات ومعانٍ أقوى بكثير من الألفاظ المباشرة ،فالعناوين هي مفاتيح الدلالة.

وقد جاء عنوان الرواية "**وعد الياسمين**" ونقسمه إلى جزئين:وعد/الياسمين .

جاءت لفظة **(وعد)** نكرة وذلك لأنَّ النكرة أصل والمعرفة فرع لقول سيبويه:"واعلم أنَّ النكرة أخفّ عليهم من المعرفة و هي أشدّ تمكّنًا ،لأنَّ النكرة أوّل ثم يدخل عليها ما تعرَّف به، فمن ثمّ أكثر الكلام ينصرف إلى النكرة"[1]،ولأنَّ العنوان هو سمة الرواية أو النص أو اسم لها فلابدّ أن يأتي نكرة ليضطرَّ القارئ إلى قراءة النصّ استجلاءً للغموض الذي يكتنف هذه النكرة.

ممّا يجعلنا نطرح علامات استفهام عديدة حول الوعد الذي يقصده الروائي، وقد جاء هذا اللفظ بصيغة المفرد ولم يأت بصيغة الجمع، فالوعد هنا يفيد ضرورة الالتزام به، فهو وعد قاطع لا مفرّ من الوفاء به، لذا لم يقل الروائي وعود، فالوعود الكثيرة في الأغلب لا نستطيع تحقيقها كلّها.

[1] –سيبويه:الكتاب ،مج1،ص:22.

إنَّ لفظة وعد مشحونة بدلالات عدّة منها:الوفاء بالعهد، الإخلاص، الأمانة،كما أنَّها مستقاة من الشخصية التي ستصبح الرئيسة المستقبلية لتونس،والدلالة من ذلك هو نظرة التفاؤل لمستقبل الوطن من خلال الوعود التي جاءت لتحقيق التغيير في البلاد لواقع أجمل ووطن أفضل.

الياسمين : إنَّ القارئ الذي لا يعرف "ثورة الياسمين" لا يمكنه الغوص إلى دلالة النص واستكناه مرامي الروائي، فمصطلح الياسمين يشير للدلالة على الحدث التاريخي، وهي ثورة الشعب التونسي ضد النظام الحاكم لتغييره وتنديدا بالظلم والاستبداد الذي لحقهم في فترة حكمه، وقد استجاب القدر لقرار الشعب وفرّ الحاكم المخلوع." **فقد كان نظامه يُقارَن باحتلال استعماري، أي لا شرعيّ ومتوحّش، فقد أمضى عشرين عامًا في إرساء الشبكات والتنظيمات الضرورية لإخضاع البلد لإرادته وأجاز لنفسه كلّ شيء**"[1]، فقد كان خروج الشعب تنديدا بتغيير النظام وإسقاطه، وكانت ثورتهم سلمية لا دماء فيها لذا فقد سمّيت بثورة الياسمين دلالة على السلم،"**أمَّا إنجازهم الذي أعاد ترتيب الكلمات ودلالاتها فقد كان الياسمين عنوانه،الياسمين الأبيض النقي،الكريم بعطره العادل بدغدغة القلوب كلها طالما تنبض بالحياة،الياسمين الكفيل بطرد روائح الفساد بسلمية شذاه، ورحابة ساحاته.سقطت الديكتاتورية أمام سلطة النقاء وشاعرية العطر،وسطوة الأبيض الذي ارتشف الدماء الزكية وصاغها عنوانًا غير مسبوق لثورات التاريخ:"ثورة الياسمين**"[2].وفي ذلك دلالة حول الوطن الذي تمثَّل في تونس،"هذه تونس وهذه ياسمينك التي سقيتها أحلامًا بحديثك عن الآخرين من أبناء وطنك المؤمنين بالحرية والغد الجميل والشمس القادمة مع الصباح"[3]، لا تأتي عناوين الأعمال الأدبية أو الروائية بطريقة عشوائية أو خارجة عن إرادة الأديب، بل يكون اختيارها بشكل متعمَّد ومقصود ،ووفق عملية فنية منظمة، ودالة على مضمون الرواية، وما يحتويه من أفكار، أمَّا إذا كان العنوان غير متوافق ومتناغم مع مضمون الرواية وفكرتها المحورية فإنَّه يفقد الكثير من قيمته الإيحائية والدلالية والفنية.

---

[1] –ينظر:الطاهر بن جلون:الشرارة(انتفاضات في البلدان العربية ويليها بالنّار)،تر:حسين عمر،المركز الثقافي العربي،ط1،الدار البيضاء–المغرب، 2012، ص:37.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:226.

[3] –المصدر نفسه،ص:48.

تحدّث الروائي رابح فيلالي عن روايته "وعد الياسمين"التي هي وليدة أحداث الربيع العربي، أي ثورات التحرير ضد النظام التي قامت بها الشعوب العربي المطالبة بالتغيير وهذا الوعد الذي نادت به الرواية، "يقيم في داخل نفس كل إنسان عربي سواء وجد الطريق إلى التعبير عن ذلك أو خانته المفردات وأحيانًا أرغمت ظروف الحياة بكامل تناقضاتها على أن يصمت وإلى الأبد في سبيل أن يضمن أسباب استمراره على قيد الحياة"[1].وإذا كان العنوان هو أوّل عقبة تضيء غوامض النص وتفك رموزه، فإنّ العنوان الفرعي يدخل ضمن هذا الطرح أيضًا.

العناوين الفرعية:

أمَّا في العناوين الفرعية فاخترت العناوين التي ترمز إلى الوطن فقط من بين (27)سبعة وعشرون عنوانا فرعيا كلّ واحد منها يعالج جزءً من أجزاء الحبكة الدرامية لبناء عمق هذا البناء الروائي، ومن بين العناوين:

1. **هي وهو** :

تركَّب هذا العنوان من اسمي الإشارة المذكّر والمؤنّث ،وهذا يحيلنا إلى علاقة الترابط والتكامل بين الرجل والمرأة فكلّ شيء في الحياة الإنسانية يبدأ منهما،و في متن هذا المقطع يبدأ السؤال عن البهيّة والبهاء وعن الوجع الذي يسكن عمق المرأة التي ترمز إلى التفاعل الوجداني لأيّ أمّة تريد الحرية، وتصبو إلى واقع أفضل،"**قبل سنوات اتّخذت قرارًا انقلابيًا**"[2]،ونجد أنَّ الروائي قد وظَّف كلمة **(انقلاب)**وهي كلمة تدلّ على الربيع العربي،فقد أفرزتها الثورات العربية.

2. **حلم وتأشيرة:**

جاء في العنوان حرف الواو رابطًا بين الحلم والتأشيرة، وفي ذلك دلالة على ارتباط مجيء لؤي إلى أرض الوطن بحلمه في تغيير الواقع الذي تمرّ به تونس. جاءت البنية التركيبية للعنوان على شكل جملة اسمية،"كصيغة ظلَّت تلازم معظم العناوين الفرعية للرواية،"لدلالتها

[1] – عائشة قحام: حوار مع الروائي رابح فيلالي، صوت الأحرار ،عدد:4442،الأربعاء19سبتمبر2012،ص:17.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:10.

على القوة من جهة، ولشدَّة تمكنها وخفَّتها على الذوق السليم من الدلالة الفعلية من ناحية أخرى"[1].

لم يأت الروائي بهذا العنوان اعتباطًا وإنَّما لحاجة في نفسه ممثَّلة في دعوته إلى التجديد في الحياة العربية التي اعتراها نوع من الجمود والركود، ولكنَّه في ذلك يبدو متفائلا بعهد وزمن واعدٍ تكون فيه النصرة للشعب والقرار بيده،و أنَّ الحلم الذي يتبعه الإصرار على تحقيقه،سيتحقق و لو طال الزمان،و أنَّ الشعب الذي يسعى جاهدًا لتحقيق السلام والأمان فسيلقى مراده يومًا ما.

لذا جاء عنوان هذا الجزء عاكسًا لما جاء فيه، ففيه كان رجوع لؤي إلى أرض الوطن لتحقيق حلمه الذي لطالما حلم به هو وأمثاله من أبناء الوطن تونس ،"**ومن تحتها امتدت فضاءات تتزاحم معها معها الزرقة في البحر ورمال الصحراء البديعة في مشهد يستفزّ خيالي وراح ينسج لي الكثير من الأحلام في وطن يولد من جديد**"[2].ثم لقاء لؤي بوعد وحديثهما عن الحلم والإيمان بالغد الذي يسكنهما و إصرارهما على تجاوز الواقع بقوة الإرادة والحرص على تنفيذ الحلم وتحقيقه،"**تحلم بوعد من الحب تقطعه لامرأة وأنتَ رجل يقف على كثبان صحراء حرة في الضفة الأخرى من العالم، وتستند إلى حبّات رمل ناعمة من بحر أبيض متوسط**"[3].ومع تأزّم الأوضاع في تونس خافت وعد على لؤي عند رجوعه إلى الوطن من الرقابة المفروضة عليهم والتي لا تتوانى من تصفية كل من يقف في طريقها.

3. <u>الأرض أمي</u>:

تتكون البنية التركيبية لهذه الجملة من مبتدأ و خبر، وقد جاءت بداية الجملة معرّفة ب (ال) وقد جاءت جملة اسمية تفيد الثبات والاستقرار، وقد حضرت صورة الأرض في هذا العنوان، وهو ما يثير القراءة ويحفّز الانتباه إلى العلامات البديلة عن الوطن، باعتبارها علامات تفتح فضاءات دلالية جديدة، فالأرض والتراب والزيتون والياسمين شكّلت دلالات بارزة في الرواية، وهي التي تضمّنت الوطن وعكست حضوره.

---

[1] –محمد عيسى محمد:العنوان في الأدب العربي(النشأة والتطور)،مكتبة الأنجلو المصرية،ط1، 1987،ص:27.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:31.

[3] –المصدر نفسه،ص:34.

ولم تمتزج صورة الأرض بلغة الطبيعة والأمكنة فقط، بل امتدّت إلى التمازج في صورة الأرض والمرأة منبثقة من إحساس عميق ومكثّف يجسّد التعلّق بالأرض إلى أقصى ما يمكن.

وقد جاء هذا العنوان ساعيًا إلى انتماء البشر جميعاً إلى الأرض الواحدة والحياة تحت السماء الواحدة ويعيشون جميعاً لغاية واحدة وهي العمل لأجل حياة أفضل لهم ولأطفالهم ،كلّ هذه المشتركات الإنسانية المتجذرة في مسار الوجود الإنساني تجعل منهم شخصًا واحدًا بحكم الانتماء إلى الأرض. أمّا مضمونه فجاء ثائرًا طالبًا التغيير، إذ الانتصار على الضعف، والهزيمة وتغيير لحال الذلّ والهوان.

4. الأرض التي لم تعد أمي:

في البنية التركيبية للجملة، (الأرض) مبتدأ ، (التي لم تعد أمي) جملة صلة الموصول في محل رفع خبر .

لذا فهي جملة تامّة تتكون من مسند ومسند إليه.

أمّا في دلالة هذا العنوان فهو يدلّ على الاغتراب الذي يحسّ به الشعب في وطن تزداد فيه الهوّة عمقًا واتّساعًا بين الشعب والأرض، فكلّ يوم يمضي تتباعد المسافة بينهما،وقد ارتبط حضور مدينة سيدي بوزيد في هذا المقطع بواقع حياة سعيد وغربته الذاتية وبين حلمه في تجاوز هذا الواقع ،ولذلك تتبّع الروائي هذا الواقع عبر رصد وتسجيل واقع الحياة في المدينة.

5. وطني ووطنهم:

من المعلوم أنَّ الواو حرف عطف تفيد الربط دون ترتيب، أي أنّنا نستطيع أن نقول (وطنهم ووطني) بدل (وطني ووطنهم)،فقد اختار الروائي هذا الحرف ليعطينا الحرية في قراءة العنوان من اليمين إلى اليسار ،ومن اليسار إلى اليمين،وتأويل كلّ قراءة.

ف(**وطني ووطنهم**)تعني أن **وطني** أي وطن سعيد وكل من أبناء تونس المحرومين،وهذا الوطن هو الذي يقبع في الفقر والقهر والظلم والجوع وسوء الحال، أمَّا **وطنهم** فيقصد به وطن الرئيس وكل أعوانه ورجاله،وهذا الوطن يحيل إلى العيش الرغيد ،السلطة والقوة .

وأن يربط الروائي بين شيئين متناقضين ففي ذلك دلالة عميقة لتناقضات الواقع ،فالوطن الأوّل الذي يقصده الروائي هو الوطن الذي يعيش فيه سعيد وأمثاله من الحالمين بتغيير

الأوضاع،فهو وطن يئنّ من وطأة الذل والاستعباد والقهر الذي يفرضه حاكم القصر وصاحب السلطة .

أمَّا الوطن الثاني فهو الوطن الذي يضم حاكم القصر ورجاله وأعوانه، فنجد سعيد يقول:"**هذا وطنهم أمَّا نحن، فلم يعد لنا وطنٌ بينهم**"[1].فالوطن الذي احتكره واستغلّه الرئيس أصبح وطنه هو، فهو الآمر والنّاهي فيه، والكلمة الأولى والأخيرة له أيضًا.

خصَّ هذا الجزء بالحديث عن سعيد ومشاكله وتخبطه بين واقع مرٍّ وحلم لم يتحقق بوطن يوفِر له حياة كريمة، وخبز يؤكل وبيت يركن إلى دفئها في اللَّيالي الباردة، لكن الوطن الذي يعيش فيه لم يعد نفس الوطن الذي مات لأجله العديد من الناس لتحريره من الاستعمار،،"**كان هناك وطن يتشكل حولي بالتوازي غير ذاك الذي سكن وجداني، وغّنيته في صباحات المدرسة وقرأته في كتبي المدرسية**"[2]. بل أصبح وطنًا محتكرًا من قبل سكان القصر وحاكمهم، وطنٌ يعمل على تلبية مطامعهم وأهدافهم على حساب سكان المدينة القابعين في الفقر والجوع والقهر.

6. وعد :

العنوان الرئيسي تناسخ في العناوين الداخلية، وقد جاء هذا العنوان مستقى من شخصية وعد وهي الشخصية الفاعلة في الرواية ،هذا الوعد لم يكن أيّ وعدٍ وإنّما وعد اقترن بملكة الزهور لنقائها وبياضها، فزهرة الياسمين توحي إلى معانٍ متعددة منها الوفاء،فخير ما يقال في الوعد هو الوفاء به وتحقيقه."**كانت سيدي بوزيد مدينة صغيرة ومع ذلك بدأ كلّ شيء منها،حادث عادي ،دارجٌ ولكنّه كافٍ ليطلق الشرارة التي لا يمكن إخمادها**"[3]،وقد غدا هذا الوعد مرتبطًا بتونس، وهو يعطي إشارة البداية للعرب في القرن الجديد في أن يعيد تاريخًا جديدًا لأنفسهم وأجيالهم القادمة،وهذه الشرارة التي أطلقها سعيد كانت كافية لإطلاق المكنون من النفوس من القهر والغضب والأمل ورغبة دفينة في تحقيق الحلم ،فإذا بإعصار الحرية يجتاح الشوارع والمدن، حيث خرج أبو القاسم الشابي من دفاتر الدرس إلى الشوارع العربية.

---

[1] -المصدر السابق،ص:73.

[2] -رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:71.

[3] -الطاهر بن جلون:الشرارة (انتفاضات في البلدان العربية)وتليها بالنار،ص: 45

7. الياسمين:

هذا العنوان جاء معرّفا ،كما أنّه جاء ناقصًا يحتاج إلى تتمّة وقد انتقى الروائي هذا العنوان لجعل القارئ يتساءل في أي نوعٍ من الياسمين يقصده الكاتب، وهل هو زهرة أم شيء آخر يقصده.

أمّا في دلالته فهو رمز لتونس من خلال الإشارة إلى ثورة الياسمين والتي قام بها الشعب مطالبًا بتغيير النظام، وفي ذلك إشارة في الرواية إلى ثورة الياسمين، فالفيلالي في توظيفه لتيمة الوطن كرمز للعزّة والإباء، يحمل همومه ويعبّر عن انكساراته.

8. وعد الياسمين:

جاء عنوان هذا المقطع مماثلًا فيه للعنوان الرئيسي للرواية ،وقد جاء فيه ما يؤكد نظرة الروائي التفاؤلية حول مستقبل الشعوب العربي التي تقف ثائرة ضد السلطة والحكم ،"فقد كان الناس يمضون حياتهم في تجرّع الإهانات ،وتبرير مواقفهم والقبول بقدرهم، وكانوا يردّدون في أنفسهم أنَّ الضوء سينبثق ذات يوم، وأنَّ الحياة ليست سوى تراكم للمصائب،تمسّك النّاس بالأمل وصلّوا وأكثروا من الدعاء،(...)وقالوا لأنفسهم إنَّ هذه المرحلة ستمرّ ،هذه ليست سوى لحظة رديئة،الله كبير وسيفتح أبوابا"[1].

وقد عمد الروائي إلى إضافة لمسة من الرمز للإيحاء إلى الوطن ،وذلك لما يحويه الرمز من دلالات ومعانٍ أقوى بكثير من الألفاظ المباشرة ،وكذلك تعتبر "العناوين من ابرز مفاتيح الدلالة لأنَّ الأديب يصبُّ فيه كل ما في عملية الإبداع من تيارات دلالية وطاقات إيحائية وتوحي بما يصطرع في ذهن الأديب من أفكار ،وفي وجدانه من أحاسيس ومشاعر"[2].

ونخلص في الأخير إلى أنَّ العناوين الفرعية تتجانس دلاليا مع العنوان الرئيسي،وبناءً عليه فالعنوان الرئيسي اختزل العناوين الداخلية ،ف"**وعد الياسمين**"هو عنوان غدا مرتبطًا بتونس الوطن، فهي التي أعطت إشارة البداية للعرب في القرن الجديد في أن يصنعوا تاريخًا جديدًا لأنفسهم ولأجيالهم القادمة.

---

[1] – الطاهر بن جلون:الشرارة (انتفاضات في البلدان العربية)وتليها بالنار ،ص:48.

[2] –حلمي بدر:القصة القصيرة عند نجيب محفوظ،مجلة فصول، مج2، ع4، ص:82.

الإهداء:

إنّ الإهداء (Dédicace)هو الصّيغة أو العبارة التي يُضمِّنها المؤلّف أو المبدع مؤلَّفه يبغي من ورائها الإقرار بالعرفان لشخص ما ، أو إبلاغ عاطفة تقدير، اعتبره تقديرا من الكاتب وعرفانا يحمله للآخرين على صنيعهم معه ،وهو"**تقليد قديم اتّخذ أشكالا عديدة ، منها الإهداءات السّلطانية، والإهداءات العائلية والإهداءات الإخوانيّة وغيرها**"[1].و تعدّ الإهداءات رسائل ضمنيّة ذات دلالة فهي أشبه بعقد ضمني مع القارئ يعمل على كشف لواعج الذَّات المبدعة ، كما" يترجم فعل الإهداء كذلك رغبة دفينة لدى المبدع يتوّج به كتابه ويجلّله،مادام هذا الفعل لا يجيء كما جرت العادة، إلّا بعد الانتهاء من الكتابة ،إذ يسمح الكاتب لنفسه ويستسمح قرّاءه، في الآن نفسه، اقتطاع مساحة حرّة (صفحة بيضاء أو أقلّ منه نصفها أو ما دون ذلك)،يدوّن فيها بليغ أفكاره وعميق تأمّلاته ودفين بوحه ولواعجه،وقد يستحضر الكاتب قارئًا_مهدى إليه_يفترضه بصيغة التعميم تارة، أو التعيين والتشخيص تارة أخرى،يحتفي به على طريقته الخاصّة"[2].

وقد يعتقد البعض أنّ الإهداء مجرد كلام شكلي لا أهميّة له في فهم النّص وتفسيره ، بيْد أنَّها علامة لغويّة و نصّ له أهمية مثله مثل العتبات النصيّة الأخرى، و أصبح من الضّروري قبل الدّخول إلى عالم النّص أن نقف عند عتباته نسائِلها قصد تحديد نيّتها واستقراء دلالاتها وأبعادها الوظيفيّة.

حيث شكّل الإهداء فيها خطابًا افتتاحيا، وكان أكثر فاعليّة ، فهو الإهداء الذي افتتحت به الرواية، و مثّل نصا مجاورًا للنص الروائي كاشفًا عن النَّص الأصلي مختزلًا في كلمات شكر وعرفان.

لذا نجد في الإهداء مفتاحًا لمغاليق الرواية و هذا هو الإهداء الذي فتح به الروائي نصّه،وقد وضعته وفق الجدول الآتي:

---

[1] – عبد الحق بلعابد :خطاب العتبات في رواية زينب، مجلة منتدى الأستاذ ، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، ع5–6، ماي2009،ص:288.

[2] –عبد المالك أشهبون:عتبات الكتابة في الرواية العربية،دار الحوار،سورية،ط1، 2009،ص:201.

المهدي	الإهداء	المهدى إليه
الروائي رابح فيلالي	**أسألكِ الغفران يا سيدة النساء إن أسأت التعبير عن حبّي يومًا** **وإن قصَّرت لغتي في أن تقول لكِ كم أنت حالة حبٍّ.** **أسألكِ مزيدًا من المحبَّة فأنتِ بدؤها ومنتهاها ومتنها.** **كم أنتِ عظيمة الغفران،وكم أشتهي الخطايا دومًا في حقك وفي حق نفسي وفي حقك في الحب.** **إليكِ وحدكِ يا من كنتِ دائمًا بقربي** **حيث لم يعرف آخر أن يكون.** **إليكِ وحدكِ يا أمّي هذا الوعد من عطر الياسمين..** **وحده الياسمين يليق بمقامكِ الرفيع يا سيدة البهاءِ.**[1]	التعميم:نساء الكون التعيين:الأم

فالإهداء نصّ مصغّر مساعد على فهم محتوى الرواية في بعض أوجهها الخاصّة، وهو إهداء مرموز، يتوسّل الروائي طلب الغفران من الوطن،فهو يقدّم توسّله على لفظ المنادى (أسألك الغفران) على (يا سيدة النساء)، والمفروض تقديم جملة النداء على الجملة الفعلية ولكن لأنَّ الروائي كان في مقام التوسّل والاستعطاف فقد فضّل التقديم.وقد جاء الإهداء نقر على شاكلة شعر،ويكشف هذا الإهداء التعلّق الشديد بالوطن من خلال ذكر الأم التي تعتبر من أجمل و أسمى العلاقات الإنسانية على الإطلاق.

و يبقى الإهداء سواء كان عاما أو خاصّا عتبة نصية لا تنفصل دلالتها عن السّياق العام للعمل الروائي، بأبعاده الإيحائيّة ورمزياته، في علاقة مع عنوان النّص الروائي، ففي الرواية الإهداء يُرشِد إلى مضمون النّص، إذ يتكهّن القارئ أن النّص لا يخرج عن كونه حديثًا عن الأمّهات بصفة عامّة وأمّ الروائي بصفة خاصّة، إلا أنّه يحمل دلالة أخرى خفيّة تخصّ ثورات الشعوب المطالبة بالحرية و التغيير ورغبتها في إحداث التّغيير والاختلاف.

قد يحيل الإهداء بشكل غير مباشر إلى الوطن، وخاصة إذا ربطناه بموضوع الرواية وهو ثورة الياسمين، فتلك الخطابات الشاعرية المعبّرة في الشوق والتبجيل تارة وطلب الصفح عن التقصير تارة أخرى، فهي في كلتا الحالتين تشير إلى الوطن الذي رُمِز إليه بالأم أو سيدة

[1] – رابح فيلالي :وعد الياسمين،ص:05.

النساء. فالوطن هو الذي راهن عليه الروائي في تحقيق الإنصات الدقيق لنبضات النصّ،و الإصاخة الصادقة إلى همساته التي لا تخلو من دلالات جهيرة وتارة أخرى مكتومة.

فالكاتب يربط صورة الوطن بالمرأة تارة وهي المرأة التي يعيش معها حلاوة الحب ومرارة الفراق،وبين الأمّ التي كانت سببًا في وجوده وكانت دائمًا معه، وهنا مفارقة ،حيث يظهر هذا الإهداء عكس ما يبطن، وهذا من جماليات الكتابة بحيث يستعين الروائي بصورة المرأة التي تعني له الكثير ليعبّر عن حبّه للوطن الذي يوازي أو يفوق حبّه للمرأة الحبيبة أو الأمّ.

فالأم عند رابح فيلالي هي "كرم الله على عباده في الأرض"[1]،وهي سيدة جُمِع الكون على حبّها، فهي الوحيدة من كلّ النساء التي تحمل معها كل المعاني الصادقة فهي البدء والمنتهى،وهي العظمة، والشموخ والجلال، والاشتهاء المزيّن بأريج الأقحوان، هي الصواب في زمن الخطأ، والصدق في زمن الكذب، والطيبة في زمنِ الجفاء. فقد مزج الروائي الوطن بالأم ليضفي لمسة شاعرية ويوحي بقيمة الوطن وتعلق الشعوب بأوطانها كما يتعلّق الأطفال بأمهم.

إنّه الإهداء الذي يتوجّه به الكاتب عادة إلى أشخاص مقربين منه، إمّا أفراد عائلته أو أصدقائه، إلَّا أنّ فيلالي طالعنا بإهداء خاص من نوعه، فجاء الإهداء الخاص لأمّه،الذي يطلب منه الغفران لتقصيره نحوها، وهنا جسّد الوطن في صورة الأمّ الحنونة والمحبّة.

وقد عبّر هذا الإهداء بعمق عن وجدان الروائي، وقد أدّى عدّة وظائف:

وظيفة انفعالية:

وهي تحمل في طيّاتها انفعالات ذاتية، تتضمّن قيمًا ومواقف عاطفية ومشاعر وإحساسات أسقطها الروائي على موضوع إهدائه.

وظيفة تأثيرية:

أراد الكاتب استمالة قرّاءه من خلال إدراج الإهداء لأمّه ،فالأمّ هي أغلى مخلوق عند الإنسان على وجه الأرض، وهنا تكمن الرغبة في التأثير على المتلقّي واستمالته لكشف أغوار النصّ،وسبر خباياه.

[1] -عائشة قحام: حوار مع الروائي رابح فيلالي،ص:17.

وظيفة دلاليّة:

تحتمل كل مشاعر الصّفاء و الإجلال و التعظيم، التي يُكِنّها الروائي للوطن العربي و هي عبارات اعتراف و تخليد لحبّه للأمّ ، وكأنّ الكاتب يجعل من الكتابة مناسبة لردّ الجميل والعرفان بكلّ ما قدّمت، لتظلّ ذكراها مستمرّة دائمًا دوام النّص المكتوب، وخالدة بخلود الكتابة، لا ذكرى عابرة تنتهي بانتهاء الظرف، كما يجعل منها أداة لعرض القضيّة الأساس، و هي ثورة التحرير.

وظيفة رمزية:

الإهداء" بوابة حميمة دافئة من بوابات النص الأدبي ،وقد يرد على شكل اعتراف أو امتنان، شكر وتقدير، رجاء والتماس..إلى غير ذلك من الصيغ الإهدائية التي يؤدّي فيها البعد الوجداني، الحساس والحميم الدور المميّز"[1]،فهذا الإهداء جاء على شكل اعتراف بتقصير وطلبًا لغفرانٍ ليرمز إلى الحريّة والكرامة والعزّة، ويبقى ما يرجّح هذا التّأويل للإهداء هو أن رابح فيلالي قد أورد إهداء خاصا لأمّه وفي مضمونه إيحاء إلى الوطن الذي عاش في غربة عنه،خاصّة حين يقول:"إليك وحدك يا من كنت دائمًا بقربي،حيث لم يعرف آخر أن يكون"، فهو هنا يوحي بقيمة الوطن ومدى ارتباط الشعب بالوطن، وتعلّقه بترابه.

و من هنا تجلّت لنا أدبيّة نص الإهداء و وظائفه، و ثبت لنا تميزه ،ولا غرابة بعد هذا في أن يعتني بعض المؤلفين بنصوص الإهداء اعتناءهم بالمتون.

فالإهداء عتبة ضرورية في قراءة النص الأدبي بصفة عامّة، والنصّ الروائي بصفة خاصّة فهو من أهم العتبات النصّية التي تسعفنا في تفكيك النص وتركيبه أو فهمه وتأويله.

علاقة الإهداء بالنصّ الروائي:

هناك علاقة وثيقة بين الإهداء والنص الروائي بحيث أن الإهداء يتحدّث عن الأمّ وعن كونها سيدة النساء فهي مكمن المحبّة، وتصريح الكاتب بخطئه وطلبه الغفران عنه، والتزامه بوعد لها ممزوجا بعبق الياسمين الأبيض، وهنا يتقاطع مع النصّ الروائي حين يفي سعيد بوعده لأمّه في أن يسعى لتحقيق الحرية للوطن، وقد مزج وعده أيضا بياسمين أبيض من خلال تضحيته بنفسه لأجل الأمّ والوطن .وقد ورد مقطع في الرواية يتناسب ويتقارب في

[1]- عبد المالك أشهبون:عتبات الكتابة في الرواية العربية،ص:199.

المعنى مع نصّ الإهداء" **تزيّني بالأبيض في عرس جنازتي، فأنا أمارس موتًا مختلفًا، إنّه موت القيامة يا أمّي قيامة الوطن من تحت رماده، ألا يستحق هذا التاريخ أن تفرحي به؟ ألم أعدك بأنَّك ستكونين غير الأمّهات إنّي أبرُّ بوعدي فافرحي وزغردي، أنا سعيد الذي أقسم أن يجلب السعادة لك وللوطن**"[1].لأنَّ الأمّ والوطن يستحقان السعادة والأمان فقد كان لهما ذلك، وهنا يحرّض الروائي إلى السعي في خلق ذاكرة مشتركة من خلال إضفاء عنصر الأمومة الذي يرمز إلى تونس،وحضارتها وشعبها.

كما قدّم لنا نص الإهداء معونةً كبرى لفكّ شفرات النّص وفهم ما غمُض منه ، إذ نلاحظ ارتباطه الشّديد بتيمة النّص الأساسيّة و هي ثورة الياسمين، وهي الثورة التي أحدثها الشعب التونسي طلبًا للتغيير والتجديد وتحقيق الحلم، وما الأمّ (المهدى لها) إلاّ رمز لهذا الوطن وهكذا قامت هذه العتبات النّصيّة بتعيين دلالة النّص بالاعتماد على الإيحاء و التّلميح و الرمز بعد رحلة شيّقة حقّقت لنا متعة البحث و القراءة.

[1] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:200.

المبحث الثاني: تمظهر الرّمز على مستوى الشّخصيّات:

تمثّل الرواية طبقة للدّلالات المستقلّة ذات بنية، وأهمّ عناصر هذه البنية نجد الشّخصيّة التي تعدّ بكل تجليّاتها القطب الذي يتمحور حوله الخطاب الروائي، والعمود الفقري الذي ترتكز عليه.

إنّ تناول الشّخصيّة كرمز مشحون بالدَّلالة الإيحاء، يجاور نظرة فيليب هامون إلى الشّخصيّة الذي اعتبرها "مورفيم فارغ في البداية سيمتلئ تدريجيا كل ما تقدّمت القراءة"[1] ، مماّ يعني أنّ النص الأدبي ما هو إلا مدوّنة كلاميّة و علاقته بلغة التّداول علاقة مرحليّة، ثم تفسح المجال للتّشكيل الأسلوبي ، الأمر الذي جعل الكتابة الأدبيّة أكثر إيحاء ورمزيّة بدلالتها وتراكيبها، عمّا هو تقريري مباشر، بمعنى أنّ" الشّخصيّة نتاج قراءة يعيد بناءها القارئ ،كما يقوم النّص بدوره ببنائها."[2] و هذا يحيل حتما على نظريّة القراءة والتّلقي، الذي يحدّد فيها القارئ الشّخصيّة ويعيد بناءها حسب مرجعيته الثقافية والمعرفية.

مفهوم الشخصية:

أ /المفهوم اللّغوي:

تعدّ الشخصيّة من المصطلحات التي وجد فيها الدّارسون والباحثون على جميع المستويات صعوبة في تحديد ماهيّتها وبيان طبيعتها، وذلك لما تتّسم به من تكامل وعدم قابليّتها للتّفكيك والتّجزئة ، ومع ذلك فقد وُجدتْ لها تعاريف في قواميس اللّغويّين العرب القدامى، وكذلك المحدثين من الغرب.

يعرّفها لسان العرب لابن منظور فيقول أن الشّخصيّة "لفظة مشتقة من(شَخَص)، فكلّ شخص رأيتَ جُسمانه، فقد رأيتَ شخصَه والشّخص كل جسم له ارتفاع وظهور والمراد به إثبات الذّات، فاستُعير لها لفظ الشّخص، و شَخُصَ الرّجُل بالضّم فهو شخيص أي جسيم وشَخُصَ بصر فلان فهو شاخص إذا فتح عينيه و جعل لا يَطرف".[3] نلاحظ أنّ التّعريف لا يخرج عن مجال اللّغة ، فهو يقيّد الشّخصية بما هو مادي ملموس ،ولا يتجاوز إلى ما وراء هذا الطرح.

---

[1] – فيليب هامون :سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر :سعيد بنكراد، تقديم : عبد الفتاح كيليطو ، دار الكلام ، المغرب ، 1990،ص:117.

[2] –المرجع نفسه،ص:180.

[3] –ابن منظور :لسان العرب،ج7،ص:36.

ب /المفهوم الاصطلاحي:

الشّخصية في المفهوم الفنيّ من نسج الخيال، أو هي كائن ورقي، لها دور في النّص الأدبي، تقوم على مبدأ المحاكاة ، فهي مدلول قابل للتّحليل و الوصف، و هذا ما ذهب إليه النّاقد فيليب هامون في كتابه "من أجل قانون سيميولوجي"حيث عرَّف المصطلح بأنَّه:"وحدة دلاليّة باعتبارها مدلولا متواصلا ، ويفترض أنَّ هذا المدلول قابل للتحليل والوصف،وأنَّ الشخصية تولد من المعنى، والجمل التي تتلفّظ بها، أو من خلال الجمل يتلفّظها غيرها من الشخصيات"[1].وفي هذا يقول حميد لحمداني" تكون الشّخصية بمثابة دال من حيث أنّها تتّخذ عدّة أسماء أو صفات تلخّص هوّيتها، أمّا الشّخصية كمدلول، فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرّقة في النّص، أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها"[2]، وبما أن الشخصية هي حجر الأساس في العمل الروائي، وهي الحاملة لرسائل متعددة للمتلقي، فاختيار أسمائها يحدد مدلولاتها ولهذا" فمن المهم أن نبحث في الحوافز التي تتحكم في المؤلف وهو يخلع الأسماء على شخصياته"[3]. اختيار الأسماء والذي يضيء جوانب متعددة للشخصيات، ويسعى السارد بهذا الاختيار إلى التنويع في التسمية وبالتالي التنويع في الصفات الخارجية والداخلية فيمنحها إيحاءات وأبعاد جمالية.

ولا يخفى أنَّ الروائي فنّان خلّاق، يأتي بشخصيته الروائية من مراقبة محيطه ومجتمعه والعالم الذي تمتدّ فيه رؤاه، ولكنّه يمنح هذه الشخصية كيانها المستقلّ، وان ابتكرها من خياله الواسع،فهي بؤرة العمل الروائي ولبّه.

إنَّ رابح فيلالي أولى اهتمامًا بالغًا في انتقاء الشخصيات، إذ اختارها بعناية فائقة ووظَّفها حسب المعطى الروائي المراد تبليغه، فهو بذلك يثري هذه المعطيات لما تضفيه من دلالات جديدة ،ويكسبها حياة جديدة و يعطيها أبعادًا أخرى.

ويتجلّى البعد الرمزي للوطن من خلال دلالة أسماء الشخصيات :الشخصية الرئيسية وتتمثّل في شخصية سعيد، والشخصيات الثانوية وتمثّلت في وعد، ياسمين ،لؤي وحاكم القصر،أمّا

---

[1] – فيليب هامون :سيميولوجية الشخصيات الروائية، ص:20

[2] –حميد لحمداني: بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي)،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1، 1991،ص:51.

[3] –حسن بحراوي :بنية الشكل الروائي،ص:247.

الشخصيات الأخرى :فتمثل في شقيقات سعيد:هبة وفاطمة الزهراء وسمية، وصاحب مقهى الأمل عمي محمود.

أول اسم يصادفنا هو اسم سعيد.

شخصية سعيد :

يحمل اسمه معاني الفرح والسرور والغبطة فهو "نقيض شقي"[1]، لكن في مضمون الشخصية فهو لم يكن كذلك بتاتًا،فقد كان يوحي بالقلق والحزن والاضطراب،"**هو شاب يملك كلّ مقومات التفوق في حياته،ذنبه الوحيد هو فقره وانسداد الأفق أمامه**"[2].لقد كان سعيد يحلم على الدوام بسماء صافية ،مشرقة لا غربان فيها، ويتأمّل أن يعيش في عصر جديد منير،ويفرح بنصر عظيم، فسعيد هو رمز لوطن شاحب الملامح فاقد الثقة، مهزوم من كلّ النكبات الداخلية والخارجية المحيطة به.

فالروائي يوظّف هذا الاسم ويدرجه ضمن الرواية لتوليد نوع من المفارقة التصويرية بهدف إبراز التناقض الحاد بين روعة الماضي وتألّقه وازدهاره، وبين ظلام الحاضر وفساده وتدهوره.فبالرغم من حزنه وحياته التعيسة إلّا أنَّه كان سببًا في سعادة أمّة بأكملها،وفتح آفاق جديدة لوطن عاني الأمرّين ليصل إلى الانعتاق والحرية من الضغوطات، فلم يختر الروائي هذا الاسم اعتباطًا وإنَّما اختاره للدلالة على وطن يئنّ في صمتٍ، ويحتاج لمن يقف بجانبه في محنه، ولكن مع إرادة الشعب وتضحياته في سبيل تحقيق الحلم، فقد جعل من الأحلام حقيقة ومن المستحيل ممكنًا."**فراح يحلم بحلمه الخاص، لكنَّه ليس حلمًا فرديًا يحقق له مجده بل هو حلم بوطن للجميع، وطن يمنح الحياة لأبنائه كما لا يحدث حتّى في الكتب**"[3].وفي صمت هذا الوضع قرّر سعيد التضحية من أجل سعادة أمّه والوطن،"**قل لها إنّي أموت من أجل كرامتها وحريتها هي وكلّ الأمهات ،أنا أموت من أجل نزع الخوف من نفوسهن وزرع السكينة**"[4].فبنية اسم سعيد تتجاوز المفهوم الواضح لها، لتدلّ على مفاهيم

[1] –ابن منظور :لسان العرب،ج7،ص:175.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:152.

[3] –المصدر نفسه ،ص:73.

[4] –المصدر نفسه،ص:159.

مغايرة أثبتتها الشخصية على طول أحداث الرواية ،" **تحوّل صدري إلى حفر ترتع فيها روائح تخنقني**"[1]، وهذه صورة من صور تمثّل الألم الداخلي لسعيد.

وقد أصبحت بعض الشخصيات رموزا يستدعيها الروائي في نصوصه من أجل إيصال رسالة معيّنة أو محاولة لتعرية الواقع الذي يعيشه، وذلك بالنظر للعمق الرمزي الذي يكتنف شخصية سعيد ،فهو لم يكتسب هذه القداسة التي جعلت منه رمزًا وعلامة على المقاومة والنضال إلَّا من خلال التضحية التي قام بها فداءً للوطن.

شخصية وعد:

توحي شخصيتها بالإخلاص والالتزام بالعهد وهذا ما يدعو إليه اسمها، فالوعد هو ما يقطع من عهد في الخير أو الشرّ،وهو التزام باحترام العهد والتقيّد به بأمانة،وفي معاجم اللغة:وفّى بوعده أي أتمّه وأنجزه؛ وأخلف بوعده أي نكثه.

فنجد أنَّ الاسم يتوافق مع صفات الشخصية،" **أنت تعرفني، اسمي وعد، لذلك وعودي لا تخطئ**"[2]، كما أنَّ هذه الشخصية تجسّد حالة الوطن العربي في أقسى خيباته، فهي توثيق لحال تونس، حيث يعاني الإنسان هناك من سلطة القهر على اختلاف أشكاله لكنه وصل أخيراً إلى قناعة تقول بضرورة صناعة قدره بنفسه وهو الذي حدث في ثورة الياسمين. هذه الثورة الشعبية المطالبة بالحياة الأفضل تحاول أن تنقل الواقع العربي إلى مستوى أفضل في حياته اليومية وفي ممارسة حقوق وأشكال المواطنة الحقيقية ." **إنَّها امرأة تحلم وتحلم من جديد، لكنَّها لا تخاف هذه المرّة من الشمس والضوء**"[3]،هي شخصية حالمة تارةً ورافضة ومتمرّدة على كل أشكال القهر تارة أخرى، وهي رمز فني قبل أن تكون شخصية ذات ملامح وسمات وموقف يتميّز بها داخل النص الروائي، فالشخصية لقّبت بهذا الاسم ليس عبثًا بل مقصودًا من طرف الروائي،فالوعد يرمز إلى القوّة في الالتزام، وهذا ما كانت عليه وعد فقد كانت"**امرأة تحبّ وتتمرّد، تزوجت واختارت الانفصال وأصبحت تلقّب بالزوجة السابقة لعائلة السعيدي، أكاديمية متعمّقة في الدراسات السوسيولوجية، لكنَّها كاتبة متحرّرة في نصوصها الإبداعية من أسر الصرامة العلمية، إنّها امرأة تخلّت عن التطرف،لذلك تراها تقف في**

[1] – المصدر نفسه ،ص:33.

[2] – المصدر نفسه ،ص:26.

[3] – رابح فيلالي:وعد الياسمين ،ص:24.

الوسط"[1]. يصوّر لنا الروائي الحلم الذي يراود كلّ من يريد التغيير والانعتاق من الأسر والضغط المفروض عليه، فهي شخصية تعانق القضية العربية وتبحث عن وطنيتها بين أناس يختفون وراء قناع الوطن ويحتمون بظلّه لإخفاء أطماعهم الشخصية، فقد عانت الكثير لتوصل أفكارها ومواقفها للشعب،وترسيخ الوعي الذي أسّست له من خلال مسيرة حياتها،هذا الوعي بوطن متكامل، ولم تعدَم الوسيلة لتحقيق ذلك ."**أتواصل مع مجموعة كبيرة من أبناء تونس وبناته الحالمين بالحياة والتغيير والذهاب إلى آفاق بعيدة، جميعهم يشترك في الحلم بالحرية والوطن الآمن**"[2].فالوعد هو الذي انتصر في آخر المطاف ،وعد الشعب بالحرية ووعده بالمساواة في الحقوق والواجبات بين أفراد الوطن، وهذا ما قدّمته شخصية وعد التي أصبحت رئيسة للبلاد فيما بعد،فشخصية وعد هي رمز للعهد والميثاق.

شخصية ياسمين:

اسم يدل على اللون الأبيض لزهرة الياسمين والرائحة الطيبة له، وهذا ما تؤكده مواضع في الرواية "ياسمين ،ما أجملك أيتها الأنثى،وما أروعك من إنسان"[3] .فجمال ياسمين يتقاطع مع هذا اللون الأبيض لزهرة الياسمين الذي يوحي بعفويتها وطلاقتها، فسعت الرواية في رسم الصورة الجميلة لأنوثة ياسمين"أنتِ امرأة متدفقة الأنوثة"[4] .كما أنَّ ياسمين هي شخصية من شخصيات الرواية، وقد وصفها الروائي:" المرأة التي يسكنها لؤي في مجملها"[5]،فبالرغم ممّا مرّت به تونس من ظروف قاهرة، وما عانته من آلام وأحزان إلَّا أنّها لم تقفل الباب في وجه الحبّ الذي ظلَّ حاضرًا حضور الوفاء والإخلاص فيه، والاصرار على بقاءه.فياسمين هي رمز الجمال والحياة.

---

[1] –المصدر نفسه،ص:41.

[2] – المصدر نفسه ،ص29.

[3] – المصدر نفسه ،ص:49.

[4] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:50.

[5] – المصدر نفسه ،ص:29.

شخصية لؤي:

هو اسم عربي قديم، فقد عرف هذا الاسم من (لؤي بن غالب أبو قريش)[1]،و قد أدرج الروائي هذه الشخصية واختار لها هذا الاسم لدلالة ما ،وإن دلَّ على شيء فإنَّما يدلّ على العروبة والأصالة والتشبث بالوطن حتى آخر رمق.

فالبعد الرمزي لهذه الشخصية المهمّشة والمسحوقة اجتماعيًا ، تحمل رؤية تدين الواقع القائم على الظلم والطبقية، ورمزية أخرى على أنَّ هذه الشخصية فرضت وجودها بالسعي نحو التغيير، فهو دليل التغيير والحرية لجيل الشباب،الذي وصل إلى حدّ الانفجار فأحدث الثورة ضد السلطة والتي يمثّلها حاكم القصر.

شخصية هبة:

هي أخت سعيد، واسمها يعني "العطية الخالية عن الأعراض والأغراض"[2]،ففي الرواية ترمز إلى أنَّ الوطن هو هبة ربّانية منحها الله للإنسان كسكن ومأوى وراحة له، ووهي رؤية تفاؤلية للكاتب،فالثورة لا يقودها إلَّا المضطهدون والمحرومين من حقوق العيش ،ولا تولد إلَّا من رحم الشعب.

فقد عكست هذه الشخصية الجيل الخائب الذي أحبطته السياسة،فانتحى على هامش الحياة.

شخصية فاطمة الزهراء:

هو اسم يوحي إلى اسم بنت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنه الفطم وهو المنع أي أن تكون ممتنعة من شيء ما.وتفطم النفس عن المهلكات والمساوئ، فالنفس تشبه الطفل فهي إذا تركتها لا تفطم ابنها، كما الرضيع إن لم يفطم شبَّ على الرضاع. ويقال بأنَّ التسمية هي من باب التفاؤل للفتاة، بأن تكبر وتنضج وتلد وتفطم.

رمز لنا الروائي من خلال هذه الشخصية إلى الواقع الاجتماعي المتردّي الذي تحيا فيه، فهي رمز للنقاء في زمن الخبث،فهي رمز لكلّ ما هو مثالي ،خاصّة فيما يتعلّق بالوطن، ومدينة الزيتون.

---

[1] –ابن منظور: لسان العرب،ج13،ص:155.

[2] –ابن منظور:لسان العرب،ج15،ص:288.

فكل شخصية عبَّرت عن الدلالة الخاصة بها ،فثمّة شخصيات عابرة يستدعيها الروائي في نصوصه ليعبّر بها عن واقع معيّن ويتطلّع من خلال رمزيّتها إلى إعادة صناعة الواقع وفق دلالتها الإيحائية مثل شخصية: **عمي محمود.**

شخصية عمّي محمود:

وقد جاء في لسان العرب أنَّ هذه اللفظة هي" الذي يحمده في جميع الخلق لتعجيل الحساب والإراحة من طول الوقوف،وقيل أيضًا الشفاعة"[1].وقد جاء اسمه على وزن مفعول،وهو يحمل في ذاته هذه الدلالة أي أنَّ الحمد يتجدد كلَّما زادت المحن والمصائب، فستبقى هذه الشخصية تحمل هذه الصفة مادام سبب المحن هو حال الشعب العربي وأنظمة الحكم فيها.

دلالة التفاؤل مستوحاة من سياق أسماء الشخصيات وهنا تتوافق مع العنوان الرئيسي الذي يحمل نظرة تفاؤلية توحي لبداية عهد جديد ومستقبل واعد وواقع أفضل،"**فقد كان عمي محمود، الرجل الذي تجاوز الستين، قد خصّص جناحًا خلفيًا في مقهى الأمل الذي يمتلكه في الجهة الشرقية من المدينة، خصّصه لمجموعة من الشباب الناشطين في حلم التغيير هناك كانوا يلتقون ليقوموا بنشر المقاطع المصوّرة على اليوتيوب ،وينشرون الآراء والتحليلات على المواقع المختلفة بأسماء وهمية**"[2].فقد كانت شخصية العمّ محمود متنفس الشباب الآملين بتغيير الوطن من خلال نشاطهم في فضاء الأنترنت، وأفكارهم حول الوطن الحرّ، والوطن الذي يشمل كلّ أبناءه ليمنحهم الراحة والسكينة، ويعطيهم الحرية والأمان.

شخصية حاكم القصر:

وقد وفّق الروائي في تعميق المنظور الرمزي ،الإيديولوجي عن طريق رسم هذه الشخصية حيث جعلها تمثّل "**سلطة معنوية تؤكّد على قوة الشخصية ،وتجتذب إليها الشخصيات الأخرى التي ستتعلّق بها وجعل منها مركز اهتمام**"[3].فهي إذن شخصية مسيطرة، تملك السلطة،كانت تمتلك دومًا القدر على التأثير على الشخصيات الأخرى،كونه رمز السيادة فالكلمة الأولى والأخيرة له،فهو حاكم البلاد. "**لم تعد أنتَ ذلك الرمز الرهيب الذي نرتجف**

---

[1] – ابن منظور: لسان العرب،ج13،ص:217.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:170.

[3] –حسن بحراوي:بنية الشكل الروائي(الفضاء،الزمن،الشخصية)،ص:270.

من حضور اسمه مهابة عندما يذكر اسمه، بل صرت ذلك الشخص الذي يتحوّل شيئًا فشيئًا إلى صنمٍ أو مومياء على أهبة التحنيط"[1].ولعلّ الروائي أراد أن يحمل هذه الشخصية مدلولها الاسمي من خلال إعطاءه اسم حاكم القصر أو رجل القصر، فلم يعط اسمًا بارزًا لها، وذلك ليرمز بها إلى ضمير الأمّة الذي يتأرجح بين الحضور و الغياب، وتعكس هذه الشخصية بقوّة السلطة بكلّ تجلياتها من قمع و قهر واستعباد،وكلّ ما يتعلّق بهذه الشخصية من ظلام ووحشية وهمجية وعشوائية.

في هذه الصورة القاتمة التي يحاول الروائي أن يرسمها حول النظام الذي حكم تونس، فهو يعكس تاريخ تونس في الخمسين سنة الماضية والتي حكم فيها الرجل الواحد، والنظام الواحد والعائلة الواحدة، وهو" **نظام يمارس أبشع أشكال الظلم والقهر والإذلال والاستلاب للشعب يجب أن يسقط،إنّها ضرورة ملحّة ونتيجة حتمية"**[2].فالنظام كما جاء في الرواية يبيّن علاقة الحاكم بالمحكوم في الوطن ،والتي يسودها الكره والبغض من كلا الطرفين، لذا فقد جاءت الرواية كدعوة عميقة وصريحة إلى التأكيد على أنَّ الخلاص الأفضل في الانتفاض والانتصار للحرية.

ولعلَّ البعد الرمزي لهذه الأسماء كافٍ للدلالة على ما يتوخاه الكاتب في هذه الرواية من غايات إيديولوجية وسياسية، فحتّى وإن اختلفت الأسماء وتعدّدت الشخصيات فهدفها واحد ،فهي تدور حول محور واحد هو الوطن.

رمزية شجرة الزيتون:

وظّف الروائي مصطلح شجرة الزيتون في أكثر من موقع من الرواية لما يحمله من دلالات ورمزيات حول الوطن، فشجرة الزيتون هي شجرة يرجع عمرها إلى آلاف السنين استخدمها الإنسان على مرّ العصور، واستفاد منها ومن زيتها وثمارها،كما أنَّها من الأشجار المباركة، التي باركها الله عزّ وجلّ وذكرها في كتابه العزيز حيث قال: ﴿ **كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾[3]، وهي التي أقسم بها الله في سورة التين، لقوله تعالى: ﴿**وَالتِّينِ**

[1] –المصدر نفسه،ص:98.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين ،ص:164.

[3] –سورة النور،الآية :35.

وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ﴾[1] كما أنها من أقدم الأشجار في العالم،جذورها متشبثة بالأرض، وفروعها تمتد لتحتضن من حولها، تظل أوراقها دائمة الاخضرار،لا تذبل، وأدرجها الروائي للدلالة على الوطن تونس ،بحكم أنَّ تونس تكثر فيها أشجار الزيتون،فهي تغطّي ما يقارب 65 % من مساحة الأراضي الزراعية، وتعدّ الشجرة الأكثر انتشارًا.

إنَّ شجرة الزيتون يذكرها الكتَّاب في كتاباتهم للرمز إلى الصمود والكبرياء والتمسّك بالأرض ،وقد جاءت شجرة الزيتون في الرواية دالة على تعلّق شعب تونس بوطنه، والحرص على تحريره ،و تغييره إلى الأفضل،"**إنَّ الزيتونة بركة احتفلت بها السماء فزيتها ينير وشجرة الزيتون لا شرقية ولا غربية، لذلك حلمت يا أمّي بوطن لا ينتمي إلى الاتجاهات، بل ينتمي إلى أهله، وطن يرسمه أبناؤه المعجونون كلهم من التراب نفسه**"[2].،كما أنَّ غصن الزيتون يرمز إلى السلام وهذا إيحاء إلى أنَّ ثورة تونس كانت ثورة سلمية.

وتبدو شجرة الزيتون دائمة الحضور في الرواية، وهي تمثّل رمزًا يدلّ "على رسوخ جذور الشعب في أرضه، وعلى استمراره في الزمن"[3]،كما أنّها تمثّل انتماء أرض تونس إلى جذرها العربي.

رمزية زهرة الياسمين:

أراد الروائي أن يكتب الشعب تاريخ بلاده باللون الأبيض ولم يرد تلويثه بلون الدماء، لذا رمز إليه بزهرة الياسمين البيضاء،حين يقول:"**الياسمين الكفيل بطرد روائح الفساد بسلمية شذاه، ورحابة ساحاته،سقطت الدكتاتورية أمام سلطة النقاء وشاعرية العطر، وسطوة الأبيض الذي يرتشف الدماء الزكية وصاغها عنوانًا غير مسبوق لثورات التاريخ**"[4]، وهذا دليل على أنَّ الثورة التي أحدثها الشعب كانت سلمية ولم تكن عنيفة، فالعنف لا ينتج عنه إلَّا العنف والدمار،فقد أراد الشعب أن يصنع تاريخًا لتونس،من خلال قدرته على الحوار ومدّ

---

[1] –سورة التّين،الآية :02.

[2] –رابح فيلالي:وعد الياسمين،ص:54.

[2]–بيسيسو عبد الرحمان:استلهام الينبوع،المأثورات الشعبية وأثرها في البناء الفني للرواية الفلسطينية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، ص:51

[4] –المصدر نفسه،ص:230.

جسور التواصل والمحبّة بين أفراد الوطن الواحد، فأصبحوا ذو كلمة واحدة وقرار واحد فالروائي يحمل في رمزية الياسمين دلالة السلام والعبير الطيب والعطر المنعش، التي اختارها ثوّار تونس عنوانًا لثورتهم، فانتصروا بسلمهم.

كما أنَّ زهرة الياسمين تدلّ على فصل الربيع حيث تزهر الأزهار وتزداد جمالًا ورونقًا وهي التي يطلق عليها بـ"ملكة الزهور" وذلك لأنَّها من أقدم الزهور المستعملة على نحو واسع في صناعة العطور، ولعلَّ الروائي أدرج هذا الرمز ليحيلنا إلى الربيع العربي أي ثورات الشعوب العربية المطالبة بالتغيير والحرية وكون أنَّ منطلق وبداية هذه الثورات كان من تونس، فقد اختارها الروائي من بين كلّ البلدان العربية.

فـ**وعد الياسمين** "هي تسجيل لتطلّعات الإنسان العربي..هذا الإنسان الذي عاني من مختلف أشكال النصفية الفكرية والأيديولوجية ليذوب في أفكار وقناعات زعاماته دون أدنى مراعاة لحقّه في الخصوصية والتفرّد والتميّز خارج حدود رؤية الزعيم الأوحد "[1].وهي رواية توحي للدعوة إلى البحث عن المستقبل في حضن الحرية والتحرّر من العبودية السياسية في ظلّ الحكم المستبدّ، وقد صدق أبو القاسم الشابي حين قال:

إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الحَيَاةَ فَلَابُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ القَدَرْ.

[1] – عائشة قحام: حوار مع الروائي رابح فيلالي،ص:17.

خـاتمة

خـاتمـــة

تعتبر التجربة الروائية العربية، بما تحمله منجزات بعض الروائيين العرب والمغاربيين خاصة، وما تمثله مواقفهم ،دليلا على عمق التجربة، وإثراء لها ،ولم يتحقق ذلك من دون أسئلة مصيرية تهمُّ الإنسان العربي وعلاقته بالعالم، وبذاته وتاريخه، ووطنه وأرضه تغلغلت وتطورت في رحم هذه التجارب الروائية، ودفعت بها إلى خضم البحث والتجريب، من أجل خلق روح حضارية، ووعي فكري ناضج يساهم في بلورة رؤى مستقبلية، وحضارة يأمل كل مبدع في تحقيقها.

لعل تجربة رابح فيلالي لا تخرج عن هذا المنطق، فقد حاول في روايته نهج نفس المسار ،وكما سبق وأن وضَّح البحث وما يمكن استنتاجه من وراء ذلك ، إن مبدع وعد الياسمين:

– استلهم الرمز واستثمر إمكاناته في بلورة تصورات ورؤى حول الوطن مكَّنته من سكب رؤاه وتمرير أفكاره عبره .

– منح المبدع للوطن أشكالا وألوانا ،وظَّفها بشكل متفاوت لتحمل أفكاره بالشكل الذي يسمح له بإقناع القارئ .

– وعد الياسمين حققت شعريتها من خلال الوطن بمختلف تنويعاته ،التي توزعت بين جمالية المعنى وجمالية التصوير .

– تحمل شخصيات الرواية في طيّاتها رموزًا يستعين بها الروائي من أجل إيصال رسالة معيّنة أو محاولة لتعرية الواقع الذي يعيشه، فنجد مثلًا شخصية سعيد هي رمز للتضحية والمقاومة من أجل الوطن، كما أنَّها في نفس الوقت ترمز إلى الوضع المتدنّي الذي وصلت إليه تونس في ظلّ النظام المستبدّ.

– لقد أولى الروائي اهتمامًا بالغًا في انتقاء الشخصيات، إذ اختارها بعناية فائقة ووظَّفها حسب المعطى الروائي المراد تبليغه، فهو بذلك يثري هذه المعطيات لما تضفيه من دلالات جديدة، ويكسبها حياة جديدة و يعطيها أبعادًا أخرى.

– استغلَّ المبدع العتبات المختلفة ليحمِّلها صور الوطن وتشكيلاته، مستثمرا حمولتها وقدرتها على تجسيد الأفكار عبرها.

– استنطق المبدع الوطن بشكل لافت للانتباه يستحق دراسات متعددة فلا تفيه واحدة الغرض.

خـاتمـــة

ختاما أتمنى أن تكون هذه الدراسة قد حقَّقت أهدافها، وأجابت على إشكالاتها المطروحة بتحليل الأبعاد الرمزية للوطن ،وكشف تجلياته في الرواية ،ولا أدَّعي إلماما بالموضوع، فقد بقيت عدة إشكاليات معلّقة، تحتاج لدراسات أكاديمية أخرى، لأن حدود البحث العلمي لا تنتهي أبدا.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**
- **الحديث النبوي الشريف عن الجامع الصحيح للترميذي.**

المصادر:

- رابح فيلالي : وعد الياسمين،الشروق للإعلام والنشر،ط1، الجزائر، 2012 .

المراجع

- ابن جنّي أبو الفتح عثمان:الخصائص،تح:محمد علي النجار،دار الهدى للطباعة والنشر،بيروت،ط2، مج1، 1952.
- ابراهيم خليل :بنية النص الروائي،منشورات الاختلاف،ط1،الجزائر،2010.
- أحلام مستغانمي:ذاكرة الجسد، دار الآداب ،ط26، 2010.
- أحمد أبو مطر:الرواية في الأدب الفلسطيني،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت-لبنان،ط1، 1980.
- أحمد حيدوش:شعرية المرأة وأنوثة القصيدة(قراءة في شعر نزار قباني)،منشورات اتحاد الكتّاب العرب،دمشق،2001.
- أسماء أحمد معيكل:الأصالة والتغريب في الرواية العربية،روايات حيدر حيدر نموذجا(دراسة تطبيقية)،عالم الكتب الحديث،أربد،الأردن،ط1، 2001.
- بيسيسو عبد الرحمان:استلهام الينبوع،المأثورات الشعبية وأثرها في البناء الفني للرواية الفلسطينية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،ط1.
-التبريزي يحيى بن الخطيب:شرح القصائد العشر،مؤسسة المعارف،بيروت،ط1، 2002
-الترميذي،محمد بن عيسى أبو عيسى:الجامع الصحيح سنن الترميذي،تح:أحمد محمد شاكر وآخرون،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط2، 1978، ج5.
- تهاني شاكر:محمود درويش ناثرًا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1، 2001.
-الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر:المحاسن و الأضداد،مكتبة الخانجي،القاهرة،(دت).
-جلال الدين أبو عبد الله القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة،دار إحياء العلوم،بيروت-لبنان،ط1، 1998.

- حسين نجمي:شعرية الفضاء، المتخيل و الهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي،ط1 ،2000.

-حماد حسن محمد حسن:الاغتراب عند ايريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،(دط)، 1995.

-حميد لحمداني: بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي)،المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1، 1991.

- حيدر توفيق بيضون:محمود درويش شاعر الأرض المحتلَّة،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط1، 1991.

-الخليل بن أحمد الفراهيدي:المعنى،تح:عبد الحميد الهنداوي،دار الكتاب العلمية،بيروت-لبنان،ج2، ط4، 2003 .

- داود أنس :التجديد في شعر المهجر ،المنشأة الشعبية للنشر و التوزيع والإعلان ،ليبيا،ط2 ،1980.

- رفاعة رافع الطهطاوي:السياسة والوطنية والتربية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1973.

- سليمان الأزرعي:البحث عن وطن،دراسة في رواية ما بعد حزيران،مطبعة السفير،ط1، 2005.

- سيزا قاسم:بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ،الهيئة العامّة للكتاب،القاهرة،1984.

- صالح مفقودة :المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر و التوزيع، بسكرة-الجزائر،ط2، 2009.

- الطاهر وطار:رمانة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

- طه وادي:صورة المرأة في الرواية المعاصرة،دار المعارف،القاهرة،ط1983،2.

- عبد الحميد بن باديس:خطب ومقالات،جمعها محمد الطاهر فضلاء،تحت عنوان الشيخ عبد الحميد بن باديس، مطبعة البعث،قسنطينة-الجزائر،1968.

- عبد الرحمان الحلاي:تاريخ المدن الثلاث(الجزائر،المدية،مليانة)بمناسبة عيدها الألفي،الجزائر،ط2، 1972.

-عبد القادر شرشار:خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي-الصهيوني(دراسة تحليلية)،مركز دراسات الوحدة العربية، ط1،بيروت،أكتوبر2005.

-عبد القادر فيدوح:الرؤيا والتاويل،ديوان المطبوعات الجامعية،ط1،وهران،1994.

-عبد المالك أشهبون:عتبات الكتابة في الرواية العربية،دار الحوار،سورية،ط1، 2009.

-فاروق أحمد أسليم: الانتماء في الشعر الجاهلي(دراسة)، منشورات اتحاد الكتّاب العرب،1998، دمشق-سوريا.

- فاطمة الزهراء:العناصر الرمزية في القصة القصيرة،دار نهضة مصر للطبع والنشر،الفجالة-القاهرة،1984.

- قادة عقاق:دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر(دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2001.

-قدور عبد الله ثاني:سيميائية الصورة،مغامرة سيميائية في أشهر الإرسالات البصرية في العالم،دار الغرب للنشر والتوزيع،2005 .

-محمد راضي جعفر:الاغتراب في الشعر العربي المعاصر،مرحلة الرواد (دراسة)،منشورات اتّحاد الكتّاب العرب،1999.

- محمد علي الكندي:الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث(السياب،نازك،البياتي)،دار الكتاب الجديدة المتحدة،ط1،بيروت،2003.

-محمد عيسى محمد:العنوان في الأدب العربي(النشأة والتطور)،مكتبة الأنجلو المصرية،ط1، 1987.

- محمد غنيمي هلال:النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة،(دط)، أكتوبر 1997.

- محمد فتوح أحمد:الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،دار المعارف،مصر،دط،1977.

-محمد فكري جزار:العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي،الهيئة المصرية العامّة للكتاب ،(د ط)،1998.

-محمود درويش:أعراس، دار العودة، بيروت، ط1،مج14، 1994.

-محمود درويش:الديوان، دار العودة، بيروت،1993.

-ملاح بناجي:آليات الخطاب النقدي المعاصر في مقاربة القصة الجزائرية(دراسة في قراءة القراءة)،دار الغرب للطباعة والنشر،سيدي بلعباس،ط1، 2002.

- نجاة عمار الهمالي:الصورة الرمزية في الشعر العربي الحديث (شعر خليفة التليسي نموذجا)،دار قباء الحديثة،القاهرة،(د ط)،2001 .

-نذير جعفر:جماليات الرواية العربية(وقائع مهرجان العجيلي الرابع للرواية العربية)،دار الينابيع،دمشق-سوريا،ط1، 2009.

-نسيمة بوصلّاح :تجلّي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر،رابطة الإبداع الثقافية الوطنية،ط1، 2003.

-نضال الصالح:نشيد الزيتون، قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق،2004 .

-يحيى وهيب الجبوري:الحنين والغربة في الشعر العربي(الحنين إلى الأوطان)،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،ط1، 2008.

المعاجم والقواميس العربية:

-ابن منظور،حمد بن مكرم بن علي أبو الفضل:لسان العرب،دار صادر،بيروت-لبنان،ط1، 2000، مج5،مج7،مج13 مج15.

-سيبويه:الكتاب،تح:عبد السلام هارون،هيئة الكتاب،مصر،ط1، 1975،مج1.

-عبد المنعم الحفني:المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،ط3 ،2000.

- مجمّع اللغة العربية(الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث):المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية، مصر،ط4،2004.

-يوسف مارون:قاموس الحكم والأمثال والأقوال الخالدة،المؤسسة الحديثة للكتاب،طرابلس-ليبيا.

الكتب المترجمة:

-الطاهر بن جلون:الشرارة(انتفاضات في البلدان العربية ويليها بالنّار)،تر:حسين عمر،المركز الثقافي العربي،ط1،الدار البيضاء-المغرب، 2012.

-فيليب هامون :سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر:سعيد بنكراد، تقديم : عبد الفتاح كيليطو،دار الكلام ، المغرب ،1990 .

– مولود فرعون:الأرض والدم، تر:عبد الرزاق عبيد،دار تلانفيت للنشر،بجاية،الجزائر،(دط).

المجلات والدوريات

– جميل حمداوي : السيميوطيقا و العنونة ، مجلة عالم الفكر ، ع 03 ، يناير 1997

–جميل حمداوي: لماذا النص الموازي؟،مجلة الكرمل، مؤسسة الكرمل الثقافية فلسطين باريس، ع88، 2006.

–حلمي بدر:القصة القصيرة عند نجيب محفوظ، مجلة فصول، مج2.

– شعيب حليفي: النص الموازي و استراتيجية العنوان ، مجلة الكرمل ، قبرص ،ع46، 1992.

–عبد الحق بلعابد :خطاب العتبات في رواية زينب، مجلة منتدى الأستاذ ، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، ع5–6،ماي2009.

– فاروق طوالبية:حوار مع الروائي رابح فيلالي بسبب صدور روايته"وعد الياسمين"،نشر في مجلة أوتار الالكترونية ،واشنطن،14–12–2012.

–محمد العرابي:الوطن في الشعر العربي بين الماضي والحاضر،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،مكتبة الرشاد،سيدي بلعباس–الجزائر،ديسمبر 2013،ع10.

–محمود الربيعي:الشاعر والمدينة،مجلة عالم الفكر،الكويت،مج88،ع11، 1988.

– محمود درويش:مقدمة مجلة الكرمل،مؤسسة الكرمل الثقافية،رام الله–فلسطين،ع58.

– مدحت الجيار:جماليات المكان في مسرح عبد الصبور،مجلة ألف،ع6، 1986.

الحوارات:

–عائشة قحام: حوار مع الروائي رابح فيلالي،صوت لأحرار، عدد:4442، الأربعاء19سبتمبر 2012.

المواقع الالكترونية:

أيمن تعليب:الرمز في القصة القصيرة في مجموع "رائحة الأيام"لوائل وجدي،موقع القصة القصيرة،22 أفريل2005، الساعة 02:39.

فاروق مواسي:أضواء على (عرس الزين)للطيب الصالح،موقع ديوان العرب،26فيفري2009.
WWW.DIWANALARAB.COM

ملخص

لقد أحدثت ثورات الربيع العربي انقلابا وتحولا في نظم البلدان العربية باعتبارها مرحلة تاريخية فرضت تجربة روائية جديدة، سمحت للروائي العربي بأن يعكس هذه الفترة في قالب فني متميز بهدف الى تجسيد الثقل الذي ارهق وعيه، وزاد من حدة نفوره من الأوضاع السائدة في البلاد. فلجأ الى التعبير عن قيمة الوطن وضرورة اتحاد الشعب في مواجهة المحن والمصاعب وتحدي كل الازمات التي تفكك الوحدة الوطنية. وتعد رواية "وعد الياسمين لمؤلفها رابح فيلالي "من ابرز الروايات التي غاصت في أعماق الوطن العربي والإنساني، ومدى تحقيقها للغايات الجمالية والفنية، وقد جاءت هذه الدراسة تحت عنوان "صورة الوطن في الرواية الجزائرية رواية وعد الياسمين وما حققته هذه الرواية من اهداف على مستوى الدلالات الرمزية للوطن، وتجليات العتبات والشخصيات وتمظهرها كرمز. وقد تركز جهدي في البحث عن الشعرية التي حققتها هذه الرواية من خلال تنوعاتها وتوزيعاتها بين جمالية المعنى وجمالية التصوير. كما ان الكاتب اتخذ من اسلوب المراوغة حين استخدم الرموز من اجل ايصال رسالة معينة او محاولة تعرية الواقع الذي يعيش فيه امام القارئ بشكل جعله يبتعد عن التأويل ليؤسس فيه لتحولات الدلالة المختلفة لتيمة الوطن.

Abstract

The revolutions of the Arab Spring revolutionized and transformed the systems of the Arab countries as a historical stage imposed a new narrative experience, which allowed the Arab novelist to reflect this period in a distinctive artistic form in order to embody the weight that burdened his consciousness, and exacerbated his fear of the prevailing conditions in the country. He sought to express the value of the nation and the need to unite the people in the face of adversities and difficulties and challenge all the crises that disintegrate national unity. The novel "The Promise of Jasmine by Rabeh Filali" is one of the most prominent novels that have been immersed in the depths of the Arab and human world and the extent to which they have been achieved for aesthetic and artistic purposes. I have concentrated my efforts on the search for poeticism achieved by this novel through its variations and distributions between the aesthetics of the meaning and the aesthetics of photography, and the author took a dodgy approach when he used symbols to convey a certain message or attempt Raya reality in which he lives in front of the reader, to make a move away from interpretation to establish the significance of the various transformations of the theme of the homeland.

العنوان	الصفحة
مقدمة	ا-ج
مدخل	5-19
الفصل الأول الدلالات الرمزية للوطن	
المبحث الاول الدلالات الرمزية للوطن المحسوس	21
الام	21
المراة	25
الانتماء	29
الاغتراب	30
الحلم	34
المبحث الثاني الدلالات الرمزية للوطن المجسد	37
الارض	37
المدينة	42
الفصل الثاني تجليات الوطن على مستوى العتبات و الشخصيات	
المبحث الأول تمظهر الرمز على مستوى العتبات	50
غلاف خارجي	50
عناوين فرعية	55
المبحث الثاني تمظهر الرمز على مستوى الشخصيات	65
مفهوم الشخصية	65
خاتمة	76-77
مصادر و مراجع	79-84
فهرس	85
ملخص	